الموسوعة الثقافية المدرسية

٧

لطالبات المرحلة الابتدائية

أحبك يا رسول الله

إعداد
أبو عبد الله

الطبعة الأولى

الألوكة
موقع الموسوعات الثقافية المدرسية
www.alukah.net

أحبك
يا رسول الله

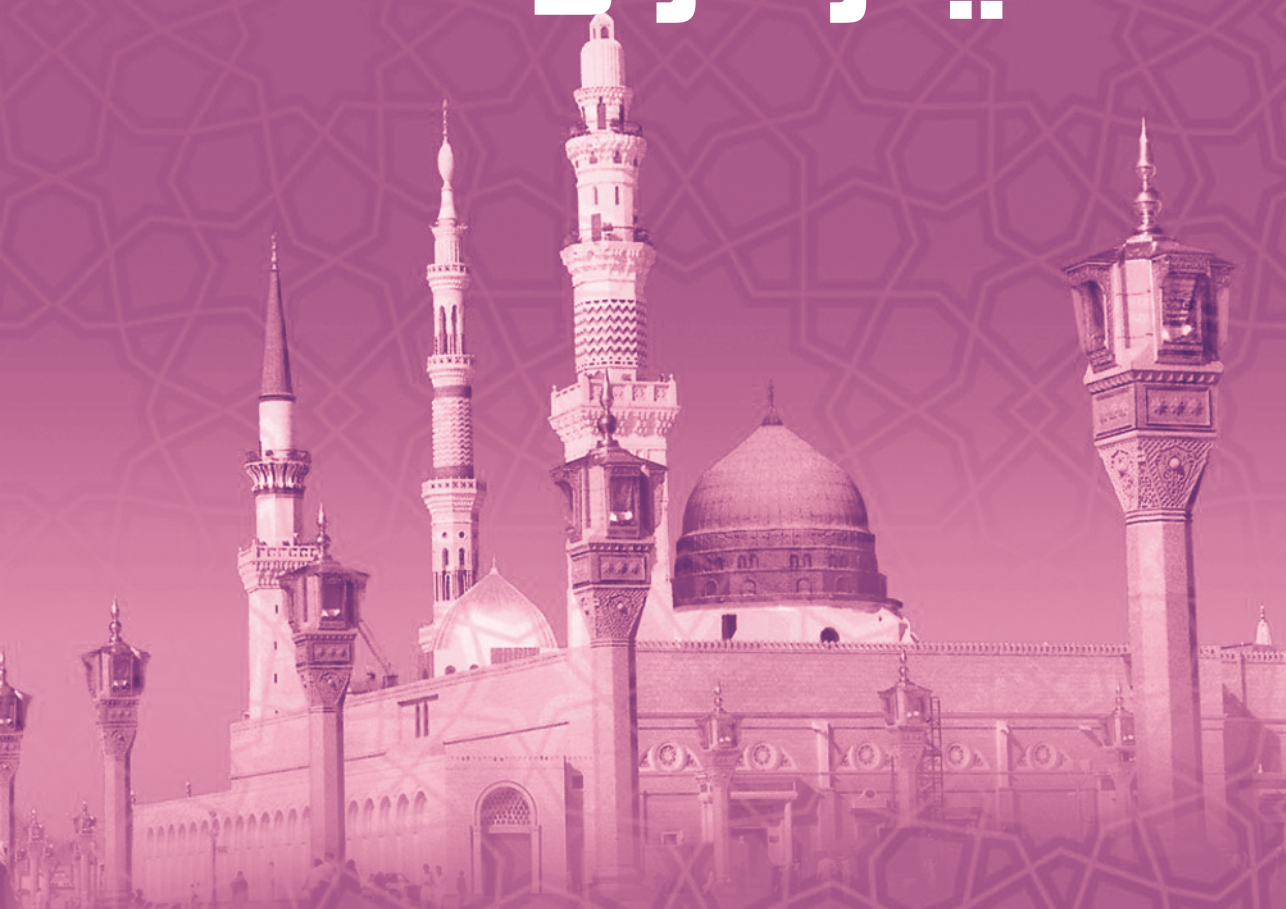

تأليف

أبو عبد الله

الألوكة
www.alukah.net

ح

حقوق الطبع
والنشر والتصوير
لكل مسلم، بكل
وسيلة مباحة
دون أخذ إذن
خطي من المؤلف
ويسعدني تعديل
وحذف ما خالف
الكتاب والسنة
إن وُجد سهوًا

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

التصحيح والمراجعة
محمد فهمي
سحر الشريف
سمية الورداني
علي فرحات حلوة
مصطفى حسن
يوسف محمد أبو القاسم
مصطفى حسن حسن
أحمد هارون
أبو القاسم عبدالرحمن
أيوب محمد فضل
عبدالله مختار

مستشار الموسوعة
د. حسن الشريف
رئيس مجلس إدارة
دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع
عضو إتحاد الناشرين المصريين

الألوكة
www.alukah.net

أجمل هدية من يديكِ

أختي القارئة الكريمة:

هذا الكتاب هو من أجلكِ، وقد بذل فيه الكثير من الجهد؛ ولكن كما قال الإمام الشافعي (أبى الله أن يتم إلا كتابه) فالخطأ والزلل في صنائع البشر وجهودهم وارِد بمقتضى الجبلة البشرية؛ إذ لا عصمة لأحد بعد الأنبياء.

ولهذا .. قد تجدين في هذا الكتاب أخطاء إملائية، أو نحوية، أو غيرها، فلا تتردي في إبلاغنا بها، وإرسالها إلينا.

وبما أن الكتاب أُلف لكِ ومن أجل أن تنتفعي به، فإننا ندعوكِ أن تستشعري - وأنتِ تقرئينه - أنه لكِ .. فرحمكِ الله يا من أهديتِ إلينا عيوبنا.

لإرسال ملاحظاتكِ عن طريق عناوين المؤلف في آخر الكتاب.

جزاكِ الله خيرًا على كل حرف كتبتيه .. وستكونين - بإذن الله - شريكتنا في الأجر والنفع.

الألوكة
www.alukah.net

المحتوى

المقدمة ٩

* الفصل الأول: تعريف بالنبي ﷺ ١٣

* الفصل الثاني: ما ورد في حسنه الباهر ﷺ ٢٣

* الفصل الثالث: فضل نبينا محمد ﷺ في القرآن الكريم ٢٩

* الفصل الرابع: فضل نبينا محمد ﷺ في السُّنة الشريفة ٤٣

* الفصل الخامس: التحذير من سب الرسول ﷺ أو الصحابة وعقوبة ذلك ٦١

* الفصل السادس: أسباب زيادة المحبة والشوق إلى رسول الله ﷺ ٦٥

* الفصل السابع: حياته ﷺ قبل البعثة ٧٧

* الفصل الثامن: في الهجرة ١١٥

* الفصل التاسع: في هديه ﷺ ١٨٧

* الفصل العاشر: الصحابي يسأل، والنبي ﷺ يجيب ٢٠٣

* الفصل الحادي عشر: أمثلة تطبيقية من حياة النبي ﷺ ٢١٧

* الفصل الثاني عشر: من وصايا الرسول ﷺ ٢٢٧

* الفصل الثالث عشر: النبي ﷺ وحقوق المرأة ٢٤٩

الخاتمة ٢٥٥

الألوكة
www.alukah.net

المقدمة

«الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للهدى، ونكث في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا أحدًا، فردًا صمدًا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ما أعظمه عبدًا وسيدًا، وأكرمه أصلاً ومحتدًا، وأبهره صدرًا وموردًا، وأطهره مضجعًا ومولدًا.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه غيوث الندى، وليوثِ العِدى، صلاةً وسلامًا دائمين من اليوم إلي أن يُبعث الناس غدًا» [1] .

ثم أما بعد:

الحديث عن السيرة النبوية العطرة شيء عظيم؛ لأن صاحبها هو رسول كريم عظيم ﷺ :

* (زكاه الله في عقله فقال سبحانه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢].

* وزكاه الله في صدقه فقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣].

* وزكاه الله في بصره فقال سبحانه: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧].

---

(١) الحمد من كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني - فتح الباري شرح صحيح البخاري.

الألوكة
www.alukah.net

* وزكاه الله في فؤاده فقال سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١].

* وزكاه في صدره فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

* وزكاه الله في ذكره فقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

* وزكاه الله في طهره فقال سبحانه: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢].

* وزكاه الله في حلمه فقال سبحانه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

* وزكاه الله في علمه فقال سبحانه: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥].

* وزكاه الله في خلقه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

* وزكاه الله في كل شيء فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأقسم الله بحياته فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

ثم أخبر عن منزلته في الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦] (١).

وها نحن نبحر معكن في هذا الكتاب الخاص بسيرة رسولنا الكريم ﷺ، وحياته، وأخلاقه.

وقد قطفنا أزهار الكتاب من كتب، وموسوعات، ومواقع، تحدثت عن السيرة العطرة؛ فاللهم لا تحرم الجميع الأجر، والفائدة، إنك سميع مجيب.

(١) مابين القوسين من كتاب: المشتاقون إلى رسول الله ﷺ - تأليف/ زيد الشمري.

الألوكة
www.alukah.net

الفصل الأول

تعريف بالنبي ﷺ

الفصل الأول
تعريف بالنبي ﷺ (١)

نسبه ﷺ:

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مُرَّة، بن كعب بن لؤي بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

أمه ﷺ:

أم رسول الله ﷺ هي آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولادته ﷺ:

ولد رسول الله ﷺ بمكة في العام الذي غزا فيه أبرهةُ الأشرمُ مكة لهدم الكعبة.

وقد ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من عام الفيل.

وفاة والديه وجده ﷺ:

مات أبوه عبد الله وهو حملٌ في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو في السادسة من العمر، فكلفه جده عبد المطلب الذي مات هو الآخر ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين.

---

(١) من كتاب: محمد رسول الله - تأليف د/ أحمد بن عثمان المزيد - مدار الوطن للنشر - ط الأولى ١٤٣١هـ. (بتصرف).

الألوكة
www.alukah.net

رضاعه ﷺ:

أرضعته ثويبة جارية أبي لهب، وأرضعته حليمة السعدية.

نشأته ﷺ:

نشأ ﷺ يتيمًا يكفله جده عبد المطلب، فلما مات كفله عمُّه أبو طالب، واعتنى به وشمله بالعطف والرعاية.

وطهّره الله - عز وجل - من دنس الجاهلية ومن كل عيب، ومنحه كلَّ خلقٍ جميل، حتى لم يكن يُعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه وطهارته.

وسافر ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب في تجارة له.

ثم خرج ثانيًا إلى الشام مع ميسرة - غلام خديجة - رضي الله عنها - في تجارة لها وذلك قبل أن يتزوجها، فلما حدثها ميسرة عن صدقه وأمانته وما بهره من شأنه وخلقه، رغبت في التزوج به.

فلما بلغ خمسًا وعشرين سنة، تزوج ﷺ خديجة بنت خويلد، وكانت في الأربعين من عمرها.

ابتداء الوحي:

فلما بلغ ﷺ أربعين سنة، اختصه الله بكرامته، وابتعثه برسالته.

أتاه جبريل - عليه السلام - وهو بغار حراء - جبل بمكة - وكان الله قد حبب إليه الاختلاء بنفسه للتأمل في هذا الغار.

نزل عليه جبريل بغار حراء فقال له: اقرأ. قال: لستُ بقارئ.

فغطاه الملك حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له: اقرأ. فقال: لست بقارئ.

فعل ذلك ثلاثًا، ثم قال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق].

فرجع رسول الله ﷺ إلى خديجة - رضي الله عنها - يرتجف، فأخبرها بما حدث له، فثبتته وطمأنته وقالت له: كلا، والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتُكسبُ المعدوم، وتعين على نوائب الدهر.

ثم فتر الوحي لحكمة يعلمها الله - عز وجل -، ثم نزل على النبي ﷺ مرة أخرى ومعه التكليف الأكيد، والأمر الجازم، بالدعوة والبلاغ، وتحمل المسؤولية، فأنزل عليه قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ [المدثر].

فأمره الله تعالى في هذه الآيات أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله، فدعا رسول الله ﷺ الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأبيض والأسود، فاستجاب له البعض، وكفر به الأكثرون.

مراحل دعوته ﷺ:

ابتدأ ﷺ الدعوة سرًّا، واستمر على ذلك ثلاث سنين يدعو الرجل تلو الرجل، فلما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، جهر بدعوته، فكان يذهب إلى الناس في أسواقهم وأنديتهم وأماكن تجمعهم يدعوهم إلى الله تعالى.

الألوكة
www.alukah.net

صبره ﷺ على الأذى:

لقي ﷺ صنوف الأذى والشدائد من قومه وهو صابر محتسب، فلما أكثروا من إيذاء أصحابه، أمرهم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، فرارًا من الظلم والطغيان، فهاجروا.

هجرته إلى المدينة:

ثم خرج رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر فتوجه إلى المدينة مهاجرًا، تاركًا بلده الذي ولد وترعرع فيه بعد ثلاث عشرة سنة من التكذيب والاضطهاد والمعاناة إلى دار أخرى تلقاه أهلها بالرحب والسعة، فآمنوا به وصدقوه، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في حمايته ونصرة دينه.

وفي المدينة أقام النبي ﷺ دولة الإسلام، ووضع كتابًا أقر النبي ﷺ فيه المبادئ والحقوق التي لم يعرف التاريخ مثلها في هذا الوقت.

ومن نصوص هذا الكتاب:

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

- إنهم أمة واحدة من دون الناس.
- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحًا[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف.
- وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة

(١) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

ظلم[1]، أو إثمًا، أو عدوانًا، أو فسادًا بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم.

- ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا يُنصر كافرا على مؤمن.

- وإن المؤمنين بعضهم موال بعض دون الناس.

- وإن من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

- وإن المؤمنين المتقين على أحسن هديٍ وأقومه.

- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ[2] إلا نفسه وأهل بيته.

- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

---

(١) ابتغى دسيعة ظلم: أي طلب شيئاً على سبيل الظلم.

(٢) لا يوتغ: لا يهلك.

الألوكة
www.alukah.net

- وإن بينهم النصر من دهم يثرب.

- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

أبرز ما كان يدعوا إليه محمد رسول الله ﷺ:

إن أهم ما بدأ به النبي محمد ﷺ دعوته، هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة من سواه، ودعا كذلك إلى تعزيز القيم الخُلقية مثل: الصدق، والعدل، والرحمة، والوسطية.

كما أعلى من شأن الأخلاق الحسنة وجعلها من أهم ما يتقرب به الإنسان إلى ربه، وأكد على كون الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الإنسان مستخلف بها ليعمرها بكل مفيد ونافع.

وأمر النبي ﷺ بأداء الحقوق لأصحابها أيًا كان هذا الصاحب، مؤمنًا أو غير مؤمن، إنسانًا أو حيوانًا.

أولاده ﷺ وبناته:

كل أولاده ﷺ من ذكر وأنثى فمن خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس ملك مصر.

فالذكور من ولده: القاسم وبه كان يكنى، وعاش أيامًا يسيرة، وإبراهيم ولد بالمدينة وعاش عامين إلا شهرين ومات قبله بثلاثة أشهر.

وعبد الله وهو الملقب بالطاهر والطيب، وقد مات في حياته ﷺ أيضًا.

وأما بناته ﷺ فهن: زينت، ورقية، وفاطمة، وأم كلثوم.

أزواجه ﷺ:

لما بلغ رسول الله ﷺ سن الخامسة والعشرين تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - ، وكان لها حينئذ من العمر أربعون عامًا، وظل معها طيلة خمس وعشرين سنة، لم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت وقد ناهزت الخمسة والستين عامًا، وكان عمره خمسين سنة.

وتزوج بعد ذلك بالعديد من النسوة، لم يكن منهن بكرًا إلا عائشة - رضي الله عنها -.

وقد كان زواجه منهن بعد هذا العمر له حكم عديدة منها:

١- **غاية تعليمية:** لتخريج بضع معلمات للنساء يعلمهن الأحكام الشرعية، وخاصة التي تتعلق بهن.

٢- **غاية اجتماعية:** وهذه واضحة تمامًا في تزوجه من السيدة عائشة ابنة وزيره الأول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، ثم زواجه من السيدة حفصة ابنة وزيره الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

٣- **غاية سياسية:** فقد كان زواجه من السيدة (جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها -) سيدة بني المصطلق، وكذا زواجه من السيدة (صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها -) سيدة بني قريظة.

وبذلك يظهر نبل رسول الله ﷺ، وسمو غرضه، وجميل قصده في زيجاته كلها، إذ لم يكن للهوى سلطان على قلبه.

وفاته ﷺ:

مكث ﷺ بالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وغسله علي بن أبي طالب وعمه العباس بن عبد المطلب وآخرون - رضي الله

الألوكة
www.alukah.net

عنهم - ، وكفن في ثلاثة أثواب بيض.

وصلى عليه المسلمون أفذاذًا، لم يؤمهم عليه أحد لعظم قدره، ولأنه هو الإمام حيًا وميتًا ﷺ.

ودفن ﷺ في الموضع الذي توفاه الله فيه، فلما دفن قالت ابنته فاطمة - رضي الله عنها - لأنس بن مالك - رضي الله عنه - : «كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ؟».

وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : «لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلم منها كل شيء».

الفصل الثاني

ما ورد في حسنه الباهر ﷺ

الفصل الثاني
ما ورد في حسنه الباهر ﷺ

١- عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير»[(١)].

٢- وعنه - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه[(٢)].

٣- وعنه - رضي الله عنه - قال: «ما رأيت من ذي لمة في حُلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ، له شعر يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، لم يكن بالقصير ولا بالطويل»[(٣)].

٤- وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: «رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان[(٤)]، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر»[(٥)].

٥- وعن أبي إسحاق السبيعي قال: سأل رجل البراء بن عازب: أكان

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٦٤) في المناقب: باب صفة النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥٦٥) في المناقب: باب صفة النبي ﷺ رقم: (٢٣٣٧).

(٣) رواه مسلم رقم: (٢٣٣٧) (٩٢).

(٤) أي: مضيئة مقمرة.

(٥) رواه الترمذي في الشمائل رقم (٨) وفي السنن رقم (٢٨١٢) وفيه سوار بن الأشعث فيه ضعف. ولكن الحديث صحيح، فقد رواه الدرامي وأبو الشيخ ص: (١٠٧) والحاكم (٤/ ١٨٦) وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في الكبير (١٨٤٢).

الألوكة
www.alukah.net

وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر[١].

٦- وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال في حديث التوبة المشهور:

«لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه، وكان إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمر»[٢].

٧- وعن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «دخل النبي ﷺ عليها يومًا مسرورًا وأسارير وجهه تبرق»[٣].

٨- وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال له رجل: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا. بل مثل الشمس والقمر مستديرًا[٤].

٩- وعن الجريري، عن أبي الطفيل قال: قلت له: أرأيت رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم. كان أبيض، مليح الوجه». وفي رواية: «أبيض مليحًا مُقصدًا[٥][٦].

١٠- وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ قالت: «يا بني لو رأيته رأيت الشمس

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٦٥) والترمذي في الشمائل والسنن (الجامع) وأحمد (٤/ ٢٨١).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥٦٥).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٥٦٥).

(٤) رواه أحمد والبيهقي في الدلائل وإسناده صحيح.

(٥) أي ليس بجسيم ولا نحيف، ولا قصير ولا طويل، بل حسن الجسم.

(٦) رواه مسلم (٤/ ١٨٢٠) (٢٣٤٠).

ساطعة». وفي رواية البيهقي» لو رأيته لقلت الشمس طالعة»[١].

١١- وعن أم معبد أنها وصفت رسول الله ﷺ فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، وكان أحلى الناس وأجمله من بعيد، وأجهر الناس وأحسنه من قريب[٢].

١٢- وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأنورهم لونًا، لم يصفه واصف قط بمعنى صفته إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر يقول هو أحسن في أعين الناس من القمر، أزهر، يتلألؤ وجهه ﷺ تلألؤ القمر[٣].

(١) رواه يعقوب بن سفيان وإسناده لا بأس به إن شاء الله ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩, ١٠) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه البغوي في شرح السنة (١٣/ ٢٦١) وابن مندة والبيهقي وغيرهم وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى.

(٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني في الدلائل ص: (٥٦٣)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٩٨) وابن أبي خثيمة في تاريخه وابن عساكر، وأشار إليه الحافظ في الفتح وسكت عنه. وما سكت عنه فهو حسن وفيه صبيح بن عبد الله أبو محمد الفرغاني. فيه مقال. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٣٠٧) رقم: (٣٨٥٥). وباقي رجاله ثقات. قال الحازمي عفا الله عنه: الحديث لا بأس به له شواهد كثيرة ومتعددة في وصفه ﷺ بذلك.. والله أعلم.

الألوكة
www.alukah.net

الفصل الثالث

فضل نبينا ﷺ محمد في القرآن الكريم

الفصل الثالث

فضل نبينا محمد ﷺ في القرآن الكريم[1]

(١) قال الله تعالى في سورة التوبة يبين فضل رسول الله ﷺ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨]

لقد خلق الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بشرًا من البشر، يعيش كما يعيش البشر، إلا أنه أوحى إليه كما أوحى إلى الرسل من قبله، فكان الحريص على هداية قومه، حتى قال الله تعالى له: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] فجمع له صفتين من صفاته، الرأفة والرحمة.

وقال أبو الثناء الآلوسي: لم يجمع هذان الاسمان (الرأفة والرحمة) لغيره ﷺ[2].

فهو ﷺ أشرف العرب على الإطلاق، فقد صح أنه بلغه ﷺ ما يقول الناس فيه، فصعد المنبر، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: «من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين،

---

(١) من كتاب: محمد رسول الله ﷺ والذين معه رضي الله عنهم - تأليف/ وهبي سليمان غاوجي الألباني - دار القلم (دمشق) - ط الأولى ١٤٣٢هـ. (بتصرف).

(٢) روح المعاني: (١/ ٥٢).

الألوكة
www.alukah.net

فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلني في خيرهم بيتًا، وخيرهم نفسًا»[١].

وقال رسول الله ﷺ روحي له الفداء: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها، وهو يذبهم عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، (أي: فانطلقوا على مهلهم) فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق»[٣].

وحق على من لم يؤمن به ﷺ قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

(٢) قال الله تعالى في سورة آل عمران:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٨) وقال: هذا حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٢٢٨٥)، وأحمد (٣/ ٣٩٢).

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

لقد بعث الله تعالى إلى الناس عامة، والمؤمنين خاصة (لانتفاعهم) رسولاً هو من أفضلهم نسبًا، وأشرفهم أسرة، يقرأ فيهم كتاب الله تعالى، ويعلمهم أحكامه ومقاصده.

لقد كانوا في جاهلية جهلاء، لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي، كما قال سبحانه: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[يس: ٦].

فيذكر لهم من قصص المرسلين، وعاقبة الذين اتقوا، وعاقبة الكافرين، ويدعوهم إلى تزكية نفوسهم، مما كان فيها من دنس الجاهلية وعقائدها الفاسدة، كالاعتقادات التي كان عليها العرب وأهل الكتاب، ويعلمهم الأخلاق التي عاشوا عليها من العدوان والخيانة إلى الصدق والأمانة، وصيانة الحقوق، وحقن الدماء، والإحسان إلى الأهل والناس.

لقد كانوا قبل نزول القرآن الكريم في ضلال بعيد، يعبدون الأصنام، ويقتلون الأولاد خوف العار والفقر، ويسيئون الجوار، ويشربون الخمر، ويستحلون الزنى والقمار والعياذ بالله، فهداهم الله تعالى بالقرآن الكريم، وبدعوة رسوله ﷺ إلى الهدى والطريق المستقيم[(١)].

قال جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - للنجاشي في مجلسه: «أيها الملك، كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، كنا على ذلك حتى بعث الله تعالى فينا رسولاً، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعا الله تعالى لنعبده ونوحده، ونخلع ما كنا نحن وآباؤنا من عبادة الحجارة والأصنام»[(٢)].

(١) انظر: روح المعاني: (٣/ ١١٤).

(٢) انظر: جوامع السيرة، للأستاذة سميرة زايد: (١/ ٤٦٧).

الألوكة
www.alukah.net

لقد بلغ عدد الأصنام في مكة (٣٦٠) صنمًا ووثنًا، ولم يكن غير العرب أحسن حالاً، فقد كان لليونان ألف صنم وإله، حتى جعلوا للخمر إلهًا، وللحب إلها، وجعلوا للرجل يملك زوجته وبناته، فيبيع زوجته وابنته!.

كان العالم في ظلام، فأنار الله وجوده وحياته بالإسلام[١].

(٣) قال الله تعالى في سورة الأنبياء:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

قال الشيخ أبو بكر طاهر: «زين الله تعالى محمدًا ﷺ بزينة الرحمة، فجميع شمائله وصفاته رحمة للخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

فكانت حياته ﷺ رحمة، ومماته ﷺ رحمة، كما قال ﷺ: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، تعرض عليَّ أعمالكم، فما كان منها خيرًا حمدت الله تعالى على ذلك، وإن كان غير ذلك استغفرت الله لكم»[٢].

هو ﷺ رحمة جعلها الله تعالى للبشر جميعًا، وتخص أمته وأهل الكبائر منهم[٣].

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، ص (١٠٦)، وانظر في أمر اليهود وانحرافاتهم قبل الإسلام كتاب: لتفسدن في الأرض مرتين، للأستاذ محمد علي دولة، دار القلم - دمشق.

(٢) مجمع الزوائد، وفيض القدير: (٣/ ٤٠٣).

(٣) الشفا، ص (٥٨).

وجاء في (كتاب: مفتاح دار السعادة) لابن القيم: «أنه لولا النبوات لم يكن في العالم علم البتة، ولا عمل صالح، ولا صلاح في معيشة، ولا قوام لمملكةٍ، ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية، والكلاب الضارية، التي يعدو بعضها على بعض، وكل خير في العالم من آثار النبوة، وكل شر وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها، فالعالم جسد روحه النبوة، ولا قيام للجسد دون روحه... إلخ».

وقد صح أن رسول الله ﷺ قيل له: يا رسول الله ادع على المشركين، فقال: «إن الله لم يبعثني لعانًا، وإنما بعثت رحمة»... إلخ[1].

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفي مما كان يعيب الأمم من عاجل العذاب في الدنيا كالخسف والغرق».

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ كان يسمي لنا نفسه بأسماء، فقال: «أنا محمد، أنا أحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[2].

لقد كانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين من الإنس والجن، والطير والحيوان، فلقد نهى رسول الله ﷺ عن صيد الحيوان، وذبحه للهو، وتعلم الصيد به مثلاً لا لأكله، فقال ﷺ: «ما من إنسان قتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله - عز وجل - عنها» قيل: يا رسول الله ما حقها؟ قال: «حقها أن يذبحها

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٣٥٥).

الألوكة
www.alukah.net

فيأكلها، ولا يقطع رأسها يرمي به»[1].

(٤) قال الله - عز وجل - في سورة الأحزاب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ ﴾ [الأحزاب].

قال العلامة محمد علي الصابوني:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ الكريم.

﴿ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ على أمتك وعلى جميع الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالات ربهم.

﴿ وَمُبَشِّرٗا ﴾ أي: مبشرًا للمؤمنين بجنات النعيم.

﴿ وَنَذِيرٗا ﴾ أي منذراً للكافرين من عذاب الجحيم.

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ أي داعياً الخلق إلى توحيد الله تعالى وطاعته وعبادته بأمره - عز وجل -، لا من تلقاء نفسك.

﴿ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ أي: أنت يا محمد ﷺ كالشمس في إشراقها، لا يجحدها إلا معاندٌ.

قال الزمخشري: «شبهه الله بالسراج المنير؛ لأن الله تعالى جلا به ظلمات الشرك، واهتدى به الضالون، كما يجلى الليل بالسراج المنير، ويهتدي به».

لقد وصفه الله تعالى بخمسة صفات كلها كمال وجمال وجلال، وختمها بأنه ﷺ هو السراج الوهاج، يبدد ظلمات الضلال، فصلاة الله وسلامه عليه في

(١) رواه النسائي (٤٣٤٩)، والحاكم: (٤/ ٢٣٣).

كل حين.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ أي: وبشر يا محمد المؤمنين خاصة بأن لهم من الله تعالى العطاء الواسع الكبير في روضات النعيم.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ أي: اعتمد في جميع أمورك على الله وحده، فالله سبحانه يكفي من توكل عليه في أمور الدنيا والآخرة.

قال الصاوي: «في الآية إشارة إلى أن التوكل أثره عظيم، فمن توكل على الله تعالى كفاه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة».

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ فيما يدعونك إليه من عبادة غيره سبحانه، وفيما يدعونك إليه من الركون إلى الدنيا، والاغترار بمتاع الدنيا من مال وجاه وسلطان.

﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ لا تبال بما يتهمونك أو يقصدونك به من أذى، فإن الله تعالى حافظك وناصرك ومظهر دينك.

لقد حذر الله تعالى نبيه ﷺ - وهو تحذير لأمته، فإنه ﷺ معصوم - من الركون إلى الكفرة، والرضا بما عندهم على حساب دين الإسلام والعياذ بالله - قال سبحانه: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الإسراء].

وقال سبحانه في وصف المنافقين: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ

الألوكة
www.alukah.net

﴿أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

فأولئك الذين يوالون الكفار، ويسعون إلى تحريف دينهم كما سبق، أولئك الذي يرون رفع حجاب المرأة، وأكل الربا، وترك الاحتكام إلى شريعة الله تعالى بآراء فجة، وأحكام باطلة! والعياذ بالله.

وإنا لنرى هنا بعض من يسمون المتنورين والمثقفين يزعمون أن حجاب المرأة هو عادة وليس شريعة، وأن حرمة الربا هو أمر اقتصادي، وليس خروجًا على الشريعة، وأن الخروج على أحكام الله تعالى حضارة ومدنية! وهم في ذلك يُرضون أولئك الذين أمر النبي ﷺ وأمرت أمته بعدم طاعتهم.

(٥) قال تعالى في سورة الكوثر:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر].

الكوثر: هو الحوض الذي وعد الله تعالى به رسوله ﷺ، كما جاء في أحاديث مشهورة، منها: قوله ﷺ: «الكوثر نهر من الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال رسول الله ﷺ: «هو نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي! فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا

(١) رواه الترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤).

بعدك»[1].

والمراد: أولئك الذين لم يقر الإسلام في قلوبهم، فخرجوا على المسلمين بعد وفاته ﷺ، وهم أهل الردة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -.

وعن أنس - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله - عز وجل -»[2].

وذكر الطبراني بسنده: أن النبي ﷺ أتى عمه حمزة أسد الله وأسد رسوله ﷺ وسيد الشهداء - رضي الله عنه - يومًا فلم يجده، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت: خرج - بأبي أنت - آنفًا عامدًا نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أولا تدخل يا رسول الله؟ فدخل ﷺ فقدمت إليه حيسًا، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله! هنيئًا لك ومريئًا، لقد جئت وأنا لأريد أن آتيك فأهنئك وأمريك، أخبرني أبو عمارة: أنك أُعطيت نهرًا في الجنة يُدعى الكوثر، فقال ﷺ فداه أبي وأمي: «أجل وعرصته (يعني أرضه) ياقوت ومرجان، وزبرجد ولؤلؤ».

قال ابن كثير: فيه حرام بن عثمان ضعيف، ولكن هذا سياق حسن، وهكذا روي عن أبي العالية ومجاهد وغيره من السلف: أن نهر الكوثر نهر في

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠)، وأحمد: (٣/ ١٠٢) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد: (٣/ ١٠٣)، وابن حبان (٦٤٧٢ و٦٤٧٣).

الألوكة
www.alukah.net

الجنة، قال عطاء: حوض في الجنة[١].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إن موعدكم حوضي، عرضه وطوله واحد، وهو كان بين أيلة (العقبة) ومكة، وهو مسيرة شهر، فيه مثل النجوم أباريق، شرابه أشد بياضًا من الفضة، من شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا»[٢].

فأكرم الله تعالى به رسول الله ﷺ، فضلاً منه وكرمًا.

(٦) قال الله - عز وجل - في سورة آل عمران:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

جاء في «صفوة التفاسير»[٣]: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ أي: اذكروا يا أهل الكتاب حين أخذ العهد المؤكد على النبيين ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ أي من أجل ما آتيتكم من الكتاب والحكمة، ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ أي: لتصدقنه ولتنصرنه، قال ابن عباس: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله تعالى محمدًا ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ أي: هل اعترفتم بهذا الميثاق، وأخذتم عليه عهدي؟.

---

(١) الطبري: (٣٠/ ٣٢٥) وفيه: (عرضه)، بدل: (عرصته).

(٢) رواه أحمد: (٢/ ١٦٢).

(٣) صفوة التفاسير، للصابوني: (١/ ٢١٤).

﴿ قَالُوٓاْ ﴾: ربنا ﴿ أَقْرَرْنَا ﴾ اعترفنا ﴿ قَالَ فَٱشْهَدُواْ ﴾ على أنفسكم وأتباعكم ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم، فمن عصى بعد ذلك، ونكث على عهده، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله تعالى.

وقال علي - رضي الله عنه - : لم يبعث الله من آدم - عليه السلام - فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأخذ العهد على قومه.

وقال عمر - رضي الله عنه - في كلام زكى به رسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء، وذكرك في أولهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧].

بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك، وهم بين أطباقها يعذبون، يقولون: ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

الألوكة
www.alukah.net

الفصل الرابع

فضل نبينا محمد ﷺ في السُّنة الشريفة

الفصل الرابع
فضل نبينا محمد ﷺ في السُّنة الشريفة

تمهيد:

السنة النبوية: هي قول رسول الله ﷺ، أو فعله، أو تقريره (موافقته)، أو صفاته الخَلْقية والخُلُقية.

وقد جاءت السنة - كما هو ثابت ومعلوم - موافقة ومؤيدة لما في القرآن الكريم، أو مقيدة لمطلقه، أو تخصيصًا لعامه، أو بيانًا لمجمله، أو تفصيلاً له، كما جاءت بأحكام لم يعرض لها القرآن(١)، مثل:

* «لا نورث، ما تركنا صدقة»(٢).

* إن نبي الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»(٣).

* حديث قتل المرتد بعد استتابته ثلاثًا: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاثٍ: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»(٤).

* وحديث: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده

---

(١) جاء في حديث أبي داود رقم (٤٦٠٤): «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه».

(٢) رواه البخاري (٤٠٣٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٠٥٧).

(٤) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

الألوكة
www.alukah.net

والناس أجمعين»[١].

* وحديث: «لعن رسول الله الراشي والمرتشي والرائش» يعني الذي يمشي بينهما[٢].

* وحديث: «لعن رسول الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» وقال: «هم سواء»[٣].

• فضل نبينا محمد ﷺ في السنة الشريفة:

أولاً: أُعطي رسول الله ﷺ ما لم يعط غيره من الأنبياء عليهم السلام:

قال رسول الله ﷺ - فداه أمي وأبي - : «أعطيت خمسًا - وفي بعضها: ستًا - لم يعطهن نبي قلبي: نصرت بالرعب من مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فيلصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[٤].

ثانيًا: محمد ﷺ شهيد على أمته:

عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «إني فرط

---

(١) رواه مسلم (٤٤).

(٢) رواه أحمد: (٥/ ٢٧٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٩٨).

(٤) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها»[(١)].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ. قلت للملك: ما هذا؟ قال: «هذا الكوثر الذي أعطاكه الله». قال: «ثم ضرب بيده إلى طينة فاستخرج مسكًا، ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نورًا عظيما»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، وتربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»[(٤)].

ثالثًا: عصمة الله تعالى للنبي ﷺ:

عن جابر - رضي الله عنه - قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أنس.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣٣٤).

(٤) رواه مسلم (٢٢٩٠) وانظر: تكملة فتح الملهم في شرح صحيح مسلم، لتقي الدين العثماني، ط.دار القلم بدمشق: (٤/ ٤٩٩).

الألوكة
www.alukah.net

قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف، فاستيقظت، وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف مصلتًا في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام السيف فها هو ذا جالس»[1]. ثم لم يعرض لرسول الله ﷺ.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم: (يعني الخبيث أن رسول الله ﷺ يصلي مستعلناً بصلاته؟) قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأنزل الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق][2].

---

(١) رواه البخاري (٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣).

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٣).

رابعًا: يخص الله نبيه ﷺ بما شاء من علم الغيب:

عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: التقى رسول الله ﷺ والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذةً إلا اتبعها، فيضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحدهم ما أجزأ فلان، فقال: «إنه من أهل النار».

فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟! فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه، فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله! قال: «ما ذلك؟» فأخبره، فقال ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[(١)].

خامسًا: قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، وربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها[(٢)].

تقول عائشة - رضي الله عنها - : ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله، وما ضرب شيئًا بيده قط،

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٤).

الألوكة
www.alukah.net

إلا أن يكون في سبيل الله، وما ضرب خادمًا قط ولا امرأة[1].

سادسًا: إكرام الله تعالى للنبي ﷺ بتكثير الطعام والبركة فيه:

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ - يعني ضعيفًا - أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟.

فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته في ثوبي، وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد، ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة» فقلت: نعم، قال: «ألطعام؟» فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا».

قال: فانطلق، وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته.

فقال: أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس، وليس عندنا ما نطعمهم! فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ معه، حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي ما عندك يا أم سليم!» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت، وعصرت أم سليم عكة لها فأدمته، ثم

---

(١) الشفا، ص (١٥١)، قال محققه: أخرج الفقرة الأولى منه الترمذي في الشمائل (٣٤٢)، والحميدي (٢٦٠)، وأبو يعلى (٤٤٥٢)، وهي في البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) بلفظ: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله - عز وجل -»، وباقي الحديث أخرجه مسلم (٢٩٢٨).

قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول، ثم قال: «ايذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[١].

أقول: وكان هذا أيام حصار المشركين للمؤمنين في غزوة الخندق.

فما أحسن التعاون في الأزمات! وما أفضل الإطعام عند المجاعة! وما أعظم ما أكرم الله به رسوله ﷺ!.

وفي «الترمذي»[٢]: من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - : «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الوضوء، فلم يجدوا، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه»، قال: «فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من آخرهم».

وروى البخاري[٣] وغيره: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». أي: في حال أكلنا مع رسول الله ﷺ.

وفي رواية الترمذي[٤]: «كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه».

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٠).

(٢) الترمذي (٣٦٣١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري (٣٥٧٩).

(٤) الترمذي (٣٦٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الألوكة
www.alukah.net

سابعًا: ما أكرم الله تعالى به النبي ﷺ من الشفاعة العظمى يوم الدين:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصير، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب، ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم».

فيأتون آدم - عليه السلام - فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك.. اشفع لنا عند ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟!.

فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة، فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، إنك أول رسل الله إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، أتشفع لنا عند ربك؟! ألا ترى إلى ما نحن فيه؟!.

فيقول: إن ربي - عز وجل - قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل

الأرض، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟!.

فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كذبت ثلاث كذبات، (ذكرهن أبو حيان في الحديث) نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته، وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟!.

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أُؤْمَر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى، فيقولون له: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، كلمت الناس في المهد صبيًا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟!.

فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد.

فيأتون محمدًا ﷺ، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟!.

فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي - عز وجل -، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي.

الألوكة
www.alukah.net

ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَهْ، واشفَعْ تُشَفَّعْ.

فأرفع رأسي: فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب.

فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

ثم قال: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى»[(١)].

ثامنًا: سيدنا محمد ﷺ هو سيد الخلق يوم القيامة:

عن أبي سيعد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[(٢)].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن رسول الله ﷺ قال: «أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأنا أول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حِلَقَ الجنة، فيفتح الله لي، فيدخلنيها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»[(٣)].

وعن أنس - رضي الله عنه -: أنه ﷺ قال: «أنا أول الناس خروجًا

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، وقد ذكر الحافظ ابن كثير شفاعات النبي ﷺ في كتابه: الفتن والملاحم، ص (٣٨٨).

(٢) رواه أحمد (١٠٩٨٧)، والترمذي (٣٥١٤ و٢٩٤٢)، وابن ماجه (٤٣٠٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٦١٥)، والدارمي (٤٧).

إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»[1].

أقول: رتبة النبوة واحدة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، لا فرق فيها بين نبي ونبي، وإنما يقع التفاضل بينهم بما فضل الله تعالى بعضهم على بعض من فتح ونعم وفضائل ومزايا فضلاً منه وكرمًا ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣] والله أعلم.

تاسعًا: الإسراء والمعراج تكرمه ربانية للنبي ﷺ لم تكن لأحد من البشر قبله:

حين مات نصيرا النبي من البشر: زوجته خديجة - رضي الله عنها -، والتي قدمت نفسها ومالها في سبيل الله تعالى، وكانت أفضل نساء رسول الله ﷺ، ثم عمه أبو طالب الذي طالما نصر ابن أخيه، وعرض نفسه وأهله للمخاطر دفاعًا عنه ﷺ، وقد سمي هذا العام الذي مات فيه نصيراه عام الحزن.

وذهب النبي ﷺ إلى الطائف يعرض دعوته عند أخواله، فلم يلق إقبالاً ولا سماعًا، بل كان ما كان من تعرضهم له ﷺ، حتى قذفوه بالحجارة، فأراد الله أن يجبر خاطر هذا النبي العظيم ﷺ، فأكرمه بالإسراء والمعراج، ليريه من آياته الكبرى، ويفرض عليه الصلوات الخمس، فصلاة الله وسلامه عليه[2].

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى

---

(١) رواه الترمذي (٣٩٣٧)، والبغوي (٣٦٢٤)، والدارمي (٤٨).

(٢) انظر: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

الألوكة
www.alukah.net

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

قال ابن كثير: ﴿سُبْحَـٰنَ﴾ يمجد الله نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه غيره، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ يعني محمدًا ﷺ.

﴿لَيْلًا﴾ أي: في جنح الليل.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو بيت المقدس، الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل - عليه السلام -، ولهذا جمعوا له هناك كلهم، فأمهم في محلتهم ودارهم، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: في الزروع والثمار.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي محمدًا ﷺ.

﴿مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ أي: العظام كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، البصير بهم، فيعطي كلاً منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة.

• حديث الإسراء والمعراج:

كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ: قال: «فرج عن سقف بيتي وأنا

بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ. فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى!

فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه شماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي على شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى... حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح....».

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : فذكر أنه وجد في السموات: آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم.. ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة.

قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال: «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح. فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس. ثم مررت بموسى، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى. ثم مررت بعيسى، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى. ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم - عليه السلام -».

الألوكة
www.alukah.net

قال ابن شهاب: فأخبرني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كان يقولان: قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام».

قال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأنس بن مالك: قال النبي ﷺ: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق. فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فقال: هي خمس، وهي خمسون لا يبدل القول لدي. فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربي.

ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[(١)].

وقد كان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، وكذا قال البيهقي. قال ابن حجر: وهذا هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية[(٢)].

وكان الإسراء والمعراج ليريه الله تعالى من آياته العظيمة، وليس فيه رؤية الله - تعالى عن المكان والجهة - وقال عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]: إنما هو جبريل - عليه السلام -، كما ثبت ذلك في

(١) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٤ و٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

«الصحيحين»[1] عن عائشة أم المؤمنين وابن مسعود، ولا يعرف لهما مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية.

عاشرًا: إكرام الله للنبي ﷺ بانشقاق القمر بطلبه ﷺ لعل الكفرة أن يسلموا:

أخرج أبو نعيم في «الدلائل»: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بسند ضعيف قال: «اجتمع المشركون على عهد رسول الله ﷺ، منهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبد المطلب، وربيعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقًا فشق لنا القمر فرقتين نصفًا على أبي قبيس، ونصفًا على قعيقعان. فقال لهم النبي ﷺ: «إن فعلت تؤمنون؟» فقالوا: نعم... وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه - عز وجل - أن يعطيه ما سألوا: فأمسى القمر قد شق نصفين: نصفًا على أبي قبيس، ونصفًا على قعيقعان، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا أبا سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم اشهدا».

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: حدثهم أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[2].

وقال البخاري[3]: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٣) البخاري (٣٨٦٨).

الألوكة
www.alukah.net

الحادي عشر: محمد ﷺ رحمة مهداة من الله تعالى إلى خلقه:

قال رسول الله ﷺ: «أنا محمد، أنا أحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[1].

والمقفي: آخر الأنبياء وخاتمهم.

وروى مسلم: أنه قيل له ﷺ عقب إساءة أهل الطائف: ادع على المشركين فقال: «إن الله لم يبعثني لعانًا، وإنما بعثت رحمة».

وروى الطبراني وغيره: أنه ﷺ قال: «إنما أنا رحمة مهداة».

(١) رواه مسلم (٢٣٥٥).

الفصل الخامس

التحذير من سب الرسول ﷺ أو الصحابة وعقوبة ذلك

الفصل الخامس
التحذير من سب الرسول ﷺ أو الصحابة وعقوبة ذلك[1]

أولاً: عقوبة من سب الرسول ﷺ:

قال القاضي عياض - رحمه الله - : قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه الصلاة والسلام[2]، وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله، أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه.

وبعد، فاعلم أن مشهور مذهب الإمام مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدًا لا كفرًا إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته، ولا تنفعه استقالته ولا فيئته، - كما قدمناه من قبلُ - وحكمه حكم الزنديق».

وقال الشيخ أبو الحسن القابسي - رحمه الله - : «إذا أقر بالسب، وتاب منه، وأظهر التوبة قتل بالسيف لأنه هو حده».

ثم قال: «وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرنا وقال به من أهل العلم، فقد صرحوا أنه ردة، وقالوا: ويستتاب منها، فإن تاب ترك ونكل، وإن أبى قتل، وحكمه حكم المرتد مطلقًا في هذا الوجه»[3].

---

(١) من كتاب: محمد رسول الله ﷺ والذين معه رضي الله عنهم تأليف/ وهبي سليمان غاوجي الألباني - دار القيم (دمشق) - ط الأولى ١٤٣٢هـ.

(٢) الشفا، ص (٧٦٠).

(٣) الشفا، ص (٨١٤).

الألوكة
www.alukah.net

ثانيًا: عقوبة من سب الصحابة - رضي الله عنهم - :

ثم قال (القاضي عياض): «وقد اختلف العلماء في هذا، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع، قال مالك - رحمه الله - : من شتم النبي ﷺ قُتل، ومن شتم أصحابه أُدِب».

وقال أيضًا: «من شتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال: كانوا على ضلال وكفرٍ قُتل.

وإن شتم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديدًا».

وقال سحنون: «من كَفَرَ أحدًا من أصحاب النبي ﷺ عليًا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربًا.

وروي عن مالك: «من سب أبا بكر جُلد، ومن سب عائشة قُتل».

قيل له: «لِمَ؟» قال: «من رماها فقد خالف القرآن».

وقال ابن شعبان عنه: «لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧]، فمن عاد لمثله، فقد كفر».

وشتم رجل عائشة بالكوفة، فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي الهاشمي فقال: «من حضر هذا؟» فقال ابن أبي ليلى: «أنا، فجلده ثمانين وحلق رأسه، وأسلمه للحجامين»[1].

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، ص (٨٧٧ - ٨٧٩).

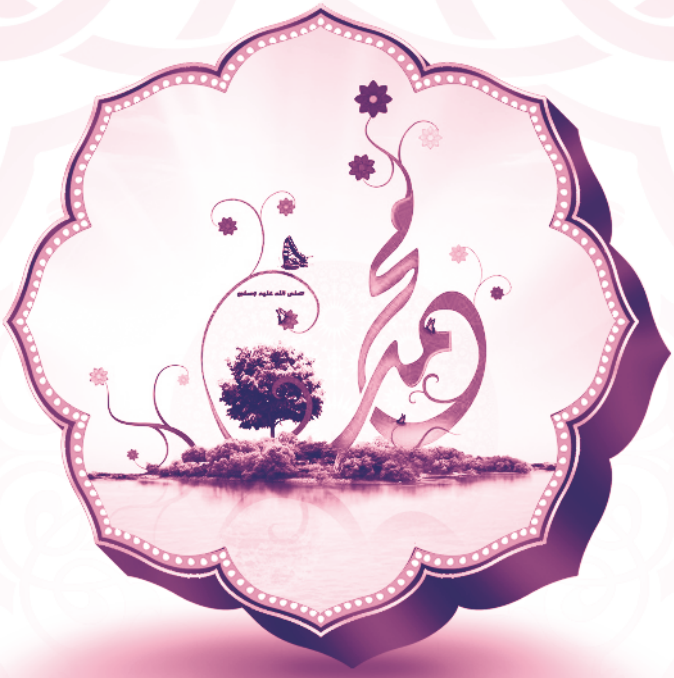

الفصل السادس

أسباب زيادة المحبة والشوق إلى رسول الله ﷺ

الفصل السادس

أسباب زيادة المحبة والشوق إلى رسول الله ﷺ (١)

حب المسلم للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم واشتياقه إليه من أجل النعم، وأعظم المنن، بعد محبة الله - عز وجل - قال ابن تيمية: (وكذلك حب الله ورسوله موجود في قلب كل مؤمن لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمنًا، وتظهر علامات حبه لله ورسوله إذ أخذ أحد يسب الرسول ويطعن عليه أو يسب الله ويذكره بما لا يليق به، فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه وأمه).

دعـــوا عنكم ليلى وســعـدى وعبلة
فـحـب رســـول الله طـب ومـرهـم
وحـــب رســـول الله في الـديـن واجـب
وحـــب رســـول الله شـهـد وزمـــزم

ولكن يحرك هذا الحب ويزيده في القلب ويجدد فيه الشوق إلى الرسول، أمور كثيرة .. منها:

١- تذكر الرسول ﷺ وأحواله:

إن للمعرفة ارتباطًا وثيقًا بالحب وإذا لم يعرف المسلم رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ويتعرف عليه وعلى عظيم قدره ومكانته في نفسه

---

(١) من كتاب: المشتاقون إلى رسول الله ﷺ - تأليف/ زيد بن فالح الربع الشمري - تقديم فضيلة الشيخ الدكتور/ سعد بن عبد الله البري - دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع - ط الأولى ١٤٣٤هـ.

الألوكة
www.alukah.net

وعند ربه فسيكون حبه له ضعيفاً منزوياً في أعماق الشعور والوجدان.

فإذا أراد المسلم أن يزداد حبه لرسول الله ﷺ فلابد من معرفته ومعرفة جوانب شخصيته الكريمة وأخلاقه العظيمة، وذلك بمطالعة سيرته وشمائله، وأيامه المباركة، والنظر فيها بتمعن لاستخلاص الدروس والعبر، والعيش مع رسول الله ﷺ، والأحداث التي واجهته، والمواقف التي وقفها، والأعمال التي قام بها، والنظر إلى حال الصحابة معه، وكيف كان عيشهم وجهادهم لأعدائهم وحبهم لنبيهم ﷺ.

فكلما طالع الإنسان سيرة رسول الله وتدبرها، أدرك عظمة الرسول ﷺ فازداد حبًا له، وشوقًا إليه.

ومما يكمل هذا الجانب، التفكر فيما لاقاه الرسول في تبليغ الدين، وعظيم حرصه على هداية الناس جميعًا، وشفقته على أمته ورحمته بها.

فإذا أدرك المسلم هذا الأمر، ازداد حبًا لرسول الله ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

فما أجمل أن يطالع المسلم سيرة النبي ﷺ، ويكون له فيها درس ومدارسة مع أهله، أو طلابه، أو جلسائه، أو جماعة مسجده، حتى ينعم الجميع بمعايشة سيرة النبي ﷺ وسنته، ويعرفوا هديه، فيقتدوا به، ويسيروا على نهجه الكريم.

والكتب في السيرة النبوية كثيرة جدًا، ولكن نذكر منها:

١. زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم.

٢. السيرة النبوية - لابن هشام.

٣. الرحيق المختوم - للمباركفوري.

٤. الفصول في سيرة الرسول ﷺ - لابن كثير.

٥- فقه السيرة - د. زيد الزيد.

٦. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - د. مهدي رزق الله أحمد.

٧. صحيح السيرة النبوية - لإبراهيم العلي.

كما أوصي طلبة العلم بكتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض) قراءة، ومطالعة، ومدارسة، ومناقشة.

أينسى أبر الناس بالناس كلهم
وأكرمهم بيتًا وشعبًا ووادِيًا
أينسى رسول الله أكرم من مشى
وأثاره بالمسجدين كما هي
تكدر من بعد النبي محمد
عليه سلام كل ما كان صافيًا

٢. الوقوف على هديه والاشتغال بالسنة قولاً وعملاً:

فكلما استمسك المسلم بهديه وسنته، وعاش معها بقلبه ووجدانه، كان ذلك أدعى إلى تذكر رسول الله وحبه.

الألوكة
www.alukah.net

ولذا، فأكثر الناس حبًا له أهل سنته المشتغلون بها علمًا وعملاً؛ لأنهم أعلم الأمة بأقواله وأفعاله وأخلاقه وشمائله ﷺ، ولو لم يكن لهم نصيب من حبه سوى الصلاة والسلام عليه، لكفى بهذا شرفًا.

أهل الحديث هم آل النبي وصحبه
وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

«وذلك لأن محبة النبي ﷺ تقتضي تعلم سنته، فكيف تحققين يا أختي محبة النبي ﷺ وأنتِ لم تقرئي من أحاديث النبي ﷺ شيئًا، واستغنيتي عن ذلك بما كتبه الناس؟ هل يمكن أن تتحقق لكِ محبته وأنتِ تهجرين كلامه ولا تقرئين شيئًا من سنته؟ لا .. لذا؛ أوصيكِ أختي بقراءة كتاب «رياض الصالحين» للنووي» [1].

أيها الإنسان: إن سعادتك رهن باتباعه ومحبته والشوق إليه، إن أبواب الجنة بعد مبعثه أوصدت وغلقت فلا تفتح إلا لأتباعه وأنصاره في دعوته، ومحبيه في مبادئه، وهذا لا يتم إلا بالاطلاع على سنته.

نسينا في ودادك كل غال
فأنت اليوم أغلى ما لدينا
نلام على محبتكم ويكفي
لنا شرف نلام وما علينا
ولما نلقكم لكن شوقًا
يذكرنا فكيف إذا التقينا

(١) مابين القوسين من كلام المؤلف ولكن بتصرف؛ بحيث عدلت الصيغة من المذكر للمؤنث، وأضفت كلامًا من عندي.

تسلى الناس بالدنيا وإنا
لعمر الله بعدك ما سلينا

٣. معرفة نعمة الله على عباده بهذا النبي ﷺ:

ومن أعظم أسباب هذه المعرفة التفكر في النفع الحاصل لهذه الأمة بسبب بعثة النبي فيها ونزول القرآن عليه.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران: ١٦٤].

وحتى تكتمل هذه المعرفة، يتخيل الإنسان كيف سيكون حال هذه الأمة لو لم يبعث فيها رسول الله ﷺ، وكيف كان حالها قبل مبعثه، ثم كيف أصبح حالها بعد بعثته ونزول القرآن عليه، وكيف أن الله جمع به بعد فرقة، ورفع به شأن الأمة، وأخرجها به من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة].

ثم النظر في شفقته على أمته، وحرصه عليها، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ: تلا قول الله - عز وجل - في

الألوكة
www.alukah.net

إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾[إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٨]، وبكى، فقال الله – عز وجل –: «يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟» فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك» رواه مسلم.

٤. كثرة ذكره والصلاة والسلام عليه:

من علامات محبته والشوق إليه، الإكثار من ذكره، والحديث عنه، والصلاة والسلام عليه، فمن أحب شيئًا أكثر من ذكره، ودوام الذكر سبب لدوام المحبة وزيادتها ونمائها، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم: في ضمن تعداده للفوائد والثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي ﷺ: (أنها سبب لدوام محبته للرسول وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به؛ لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه.

وإذا أعرض عن ذكره، وإحضاره، وإحضار محاسنه بلقبه، نقص حبه من قلبه ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه، والثناء عليه، وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه).

والمقصود بالذكر هنا، الذكر المشروع من قراءة سنته، والاطلاع على سيرته، وذكر أخلاقه وهديه، وعلى رأس الذكر المشروع الإكثار من الصلاة

والسلام عليه في الليل والنهار إذ إنها من أعظم ما يربط قلب المسلم برسول الله ﷺ، ويجعله متذكرًا له، دائم الشوق إليه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقد ورد الحث عليها والأمر بالإكثار منها في أحاديث كثيرة.

منها قوله ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً» رواه مسلم.

وصح عنه أنه قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة».

قال سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - : وفي الصلاة عليه ﷺ فوائد كثيرة منها: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى الموافقة له في الصلاة عليه ﷺ، والموافقة لملائكته أيضًا في ذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦].

ومنها أيضًا، مضاعفة أجر المصلي عليه، ورجاء إجابة دعائه، وسبب لحصول البركة، ودوام محبته عليه الصلاة والسلام، وزيادتها، وتضاعفها، وسبب هداية العبد وحياة قلبه فكلما أكثر الصلاة عليه وذكره، استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به.

وأفضل صيغه للصلاة على النبي ﷺ، هي الصلاة الإبراهيمية.

ويدخل ضمن الذكر المشروع، تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته

الألوكة
www.alukah.net

وأخلاقه، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك، ليزدادوا إيمانًا ومحبةً له ﷺ ولكي يتأسوا به.

ولا محظور في التمدح بذلك نثرًا وشعرًا مادام أن ذلك في حدود المشروع الذي أمر به الشارع الكريم في نصوص القرآن والسنة، والمحذور شرعًا أن يتجاوز به حدود بشريته فيصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله - عز وجل - كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي ﷺ.

وكذلك فإن من الأمور المنهي عنها، الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص، وهذا الذكر البدعي هو الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظنًا منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ، وهو في حقيقة فعله يعد محادة لله ورسوله فقد تبرأ ﷺ ممن أحدث في الدين حيث قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه.

فالواجب أن تكون محبتنا له ﷺ كما يريد هو لا كما نريد نحن، نحبه حبًا عظيمًا أعظم من حبنا لوالدينا وأولادنا وأنفسنا والناس أجمعين، ونتمسك بدينه ونعمل بسنته ووفق هديه، ونتجنب الغلو فيه وتجاوز الحد في مدحه فهو الذي نهانا بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» رواه البخاري، فالمحب الصادق للمصطفى ﷺ هو الذي يحرص على أن يكون معتقده على وفق عقيدة الرسول فيأخذها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وهذا هو اعتقاد السلف الصالح في الرسول وصحابته ومن تبعهم بإحسان.

٥. التعرف على ثمرات حبه ﷺ وتذكرها:

من المعلوم أن النبي الكريم ﷺ غني عن حبنا، نحن الذين نكتسب الخيرات ونجني الثمرات بفضل الله تعالى إذا أحببناه صلوات ربي وسلامه عليه، نفوز بحلاوة الإيمان في الدنيا إذ جعل الله تعالى من أسباب الحصول عليها حبه ﷺ، مما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

وسوف نسعد بفضل الله تعالى كذلك إذا أحببناه بصحبته ﷺ في جنات النعيم في دار الخلد، ومما يدل على هذا ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قومًا ولما يلحق بهم؟. فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب».

والمراد بقوله ﷺ: «المرء مع من أحب» أي: في الجنة.

الله أكبر.. ما أشرفها من ثمرة!! وما أجله من جزاء لمن أحب النبي الكريم ﷺ في الدنيا والآخرة.

فإذا تعرف المرء على هذا، وتذكر ذلك، حرص على حب النبي الكريم ﷺ لأن الإنسان يرغب في الحصول على ما ينفعه، ويسعى إلى اكتسابه والازدياد منه.

الألوكة
www.alukah.net

٦. النظر والتأمل في سير من أحبوه ﷺ:

فإنه لم يحظ بشر بمثل ما حظي به النبي ﷺ من الحب والمكانة في قلوب أصحابه وأتباعه ولا عجب، فقد كان يمتاز من كمال الخلق والخلق بما يقصر عن وصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت إجلالاً له، وتفانى أصحابه في حياطته وإكباره، ولم يبالوا أن يضحوا بأرواحهم وتندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر.

الفصل السابع

حياته ﷺ قبل البعثة

الفصل السابع: حياته ﷺ قبل البعثة[1]

أولاً: رعي الغنم:

كان أبو طالب كثير العيال رقيق الحال قليل المال، فرأى الرسول ﷺ أن يعمل عملاً يساعده به - حتى لا يكون عالة على غيره - فرعى الغنم لحساب غيره على تلال مكة، وقد أحب هذا العمل منذ أن كان في البادية مع إخوته من الرضاع.

ولرعي الغنم أثر كبير في حياته المستقبلة، فهي تعوده لين الجانب، والرأفة، والرحمة، وسعة الصدر، واليقظة والنشاط، وما من نبي إلا ورعى الغنم، فقد قال ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[2].

وقال ﷺ: «بعث موسى عليه السلام وهو يرعى غنمًا لأهله، وبعثت أنا وأنا أرعى غنمًا لأهلي بجياد»[3].

قال الحافظ ابن حجر: قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر

---

(١) من كتاب: في رحاب الذكرى العطرة (المجلد الأول) - تأليف أ.د/ محروس رضوان عبد العزيز - دار ابن حزم - ط الأولى ١٤٢٩هـ.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: في كتاب الإجارة: باب رعي الغنم على قراريط: جـ(٤) صـ(٤٤١) عن أبي هريرة (فتح الباري) وأخرجه الإمام مالك في الموطأ: في كتاب الجامع: ما جاء في أمر الغنم: جـ(٣) صـ(١٣٨) ط: عيسى الحلبي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: جـ(٣) صـ(٩٦) (في مسند أبي سعيد الخدري).

الألوكة
www.alukah.net

أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على جمعها ورعيها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم.

وخصت الغنم بذلك: لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها[1].

ولا يعاب رعاة الأغنام بما جاء في علامات الساعة: «.... وأن ترى الحفاة العراة، العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»[2].

فليس فيه ذم لرعاة الأغنام ورعي الغنم، وإنما فيه إثبات لحقيقة غالبة هي فقر الرعاة.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: افتخر أهل الإبل والغنم عند النبي ﷺ، فقال ﷺ: «الفخر والخيلاء في أهل الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»[3].

وقد قال الرسول ﷺ في حديث آخر صحيح: «يوشك أن يكون خير

---

(١) فتح الباري: جـ(٤) صـ(٤٤١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: ضمن حديث طويل: في كتاب الإيمان: باب الإيمان والإسلام والإحسان: جـ(١) صـ(٣٦) عن عبد الله بن عمر، رقم (٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: جـ(٣) صـ(٩٦) (في مسند أبي سعيد الخدري).

مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[1].

وهكذا تكون رعاية الأغنام مهنة عظيمة في حد ذاتها لا ذم لها، وإنما تذم لما يعرض لها، وكثيرًا ما يكون الشيء في أصله جميلاً وعظيمًا، ثم يعرض له ما يجعله قبيحًا وحرامًا.

ثانيًا: سفره ﷺ في تجارة إلى الشام مع عمه:

يقول ابن إسحاق عن هذه السفرة: ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير صب به[2] رسول الله ﷺ[3] فرق له، وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا، أو كما قال.

فخرج به معه، فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهبًا، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها يتوارثونه كابرًا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيري، وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبًا من صومعته، صنع لهم طعامًا كثيرًا عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت[4] أغصان الشجرة، على رسول الله ﷺ، حتى استظل تحتها، فلما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب بدء الخلق: باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال: جـ(٤) صـ(١٥٥) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) صب من الصبابة، وهي رقة الشوق: أي: اشتد ميله إليه ورق قلبه له.

(٣) كان عمره ﷺ إذا ذاك تسع سنين، وقيل: اثنتي عشرة سنة.

(٤) تهصرت: أي مالت وتدلت.

الألوكة
www.alukah.net

رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته - وقد أمر بذلك الطعام فصنع - ، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم و حركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرًا!! فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم، وأنصع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه.

وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم - لحداثة سنه - في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم، لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال يا معشر قريش: لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا له يا بحيرى: ما تخلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا، فتخلف في رحالهم، فقال لا تفعلوا، ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم.

قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه[1] وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرى، جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده، وقد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى[2] إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألني باللات والعزى شيئًا، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما.

فقال بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما

---

(١) احتضنه: أي أخذه مع حضنه، أي جنبه.

(٢) أراد بذلك اختباره؛ لأنه إذا كان النبي المنتظر لا يحلف بهما.

بدا لك؟ فجعل يسأله عن أشياء من حاله. من نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده من صفته - أي: صفة النبي المبعوث آخر الزمان التي عنده - ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده[(١)]. قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم[(٢)].

• **بحيرى ينصح أبي طالب بالعودة بالنبي ﷺ:**

قال ابن إسحاق: فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرى: ما هو بابنك؟ وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أباه حيًا.

قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت. فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة، حين فرغ من تجارته في الشام)[(٣)].

وشب رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها، لما يريده من كرامته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم من الفحش والأذى،

---

(١) سيرة ابن هشام: جـ(١) صـ(١٩٦ - ١٩٨) وانظر السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(١٩٤).

(٢) قال السهيلي في الروض الأنف: يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم، حتى يكون ناتئًا، وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود، وفي صفته أيضاً أنه كان كالتفاحة، وكذر الحجلة أهـ. (٢/ ٢٢١) وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: (رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام) كتاب الفضائل: باب إثبات خاتم النبوة (٤/ ١٨٢٣).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٨) والسيرة الحلبية: جـ(١) صـ(١٩٥).

الألوكة
www.alukah.net

ما روى ملاحيًا ولا مماريًا أحدًا، حتى سماه قومه: «الأمين» لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، فكان أبو طالب يحفظه، ويحوطه، وينصره، ويعضده حتى مات[1].

ثالثًا: موقفه ﷺ من حرب الفجار:

قال ابن هشام: فلما بلغ الرسول ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، هاجت حرب الفجار[2] بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وكان الذي هاجها[3]: أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر، أجار

(١) البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٢٣).

(٢) قال السهيلي: الفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة، كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً، فسمي الفجار، وكان للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودي، آخرها فجار البراض المذكور في السيرة، وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة: يوم شمطة، ويوم الشرب، ويوم العبلاء، ويوم الحريرة. اهـ.

الروض الأنف جـ(٢) صـ(٢٢٣).

فأما الفجار الأول: فكان بين كنانة وهوازن.

وأما الفجار الثاني: فكان بين قريش وهوازن.

وأما الفجار الثالث: فكان بين كنانة وهوازن.

وقد تحاور الحيان في الأول حتى كادت الحرب تقع بينهما.

وأما في الثاني: فقد هاجت الحرب، وكان بينهم قتال ودماء، ثم تحملها: حرب بن أمية وأصلح بينهم.

وأما في الثالث: فقد تراجعوا بعد أن تهايج الناس، وكاد القتال يقع بينهم. اهـ.

هامش سيرة ابن هشام: جـ(١) صـ(٢٠٠).

(٣) أي سبب وقوعها.

لطيمة[1] للنعمان بن المنذر[2] فقال له البراض بن قيس الكناني: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم وعلى الخلق - كله - فخرج فيها عروة الرحال، وخرج البراض يطلب غفلته، حتى إذا كان يتيمن ذي طلال[3] بالعالية، غفل عروة، فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي «الفجار».

فأتى آت قريشًا فقال: إن البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ، فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم بلغهم الخبر، فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا والقوم متساندون، على كل قبيل من قيس رئيس منهم.

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، حيث قال رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامي»، أي: أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها[4].

---

(١) اللطيمة: الجمال التي تحمل البز والمسك، وإجارتها: أن يكون لها جاراً فيحميها ويمنع التعدي عليها.

(٢) النعمان بن المنذر: ملك العرب بالحيرة، بعث بقافلة له إلى سوق عكاظ، وكان في حاجة إلى من يحميها له.

(٣) موضع ببلاد بني مرة.

(٤) سيرة ابن هشام: جـ(١) صـ(٢٠٠) وما بعدها.

الألوكة
www.alukah.net

ويجوز أن يكون غالب أحواله ﷺ ذلك، أي: أنه ينبل، أي: يرد النبل، فلا ينافي أنه ﷺ رمى في بعض الأوقات، بأسهم، وعليه تحمل رواية ابن سعد التي قال فيها الرسول ﷺ: «قد حضرته مع عمومتي، ورميت فيها بأسهم، وما أحب أني لم أكن فعلت»[(١)].

رابعًا: حلف الفضول[(٢)]:

الحلف في الأصل: اليمين والعهد، وسمي العهد حلفًا لأنهم يحلفون عند عقده، وحلف الفضول أشرف حلف في العرب، وكان ذلك عندما شعرت قريش أن ما أصابها في حرب الفجار إنما هو نتيجة تفرق الكلمة، وعدم نصرة الحق، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وتعاهدوا أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه، ما بل بحر صوفة، وما رؤى ثبيرٌ وحراء مكانهما[(٣)].

وكان هذا الحلف أكرم حلف وأفضله في العرب في الجاهلية.

يقول عنه الشيخ محمد الغزالي: أما حلف الفضول فهو دلالة على أن الحياة مهما اسودت صفائحها، وكلحت شرورها، فلن تخلو من نفوس تهزها معاني النبل، وتستجيشها إلى النجدة والبر.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: جـ(١) صـ(١٢٨)، وانظر السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢٠٨).

(٢) كان حلف الفضول بعد الفجار بأربعة أشهر، وسمي بذلك: إما لأنهم تحالفوا على أنهم يردون الفضول إلى أصحابها، وإما لأنه يشبه حلفًا وقع لثلاثة من جرهم، كل واحد يقال له: الفضل، وهم: الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث.

(٣) انظر البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣٠).

ففي الجاهلية الغافلة نهض بعض رجال من أولي الخير وتواثقوا بينهم على إقرار العدالة وحرب المظالم، وتجديد ما اندرس من هذه المظالم في أرض الحرم[١].

وسبب هذا الحلف: أن رجلاً من «زبيد»[٢] قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف:

عبد الدار، ومخزمًا، وجمحًا،وسهمًا، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل، وزبروه[٣]، فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس[٤] عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته
يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال: (ما لهذا مترك)، فاجتمعت هاشم،

---

(١) فقه السيرة للغزالي: صـ(٧٦).

(٢) بلد باليمن.

(٣) أي انتهروه.

(٤) أي صعد على جبل أبي قبيس بمكة، سمي باسم رجل من مذحج.

الألوكة
www.alukah.net

وزهرة، وتيم بن مرة، في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعامًا[1]، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، وقال الزبير بين عبد المطلب في ذلك:

حلفت لنعقدن حلفًا عليهم
وإن كنا جميعًا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا
يعز به الغريب لذي الجوار
ويعلم من حوال البيت أنا
أباة الضيم نمنع كل عار

وقال الزبير أيضا:

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا
ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا
فالجار والمعتر فيهم سالم[2]

---

(١) كان عبد الله بن جدعان كريماً، فكان يذبح في داره كل يوم جزوراً وينادي مناديه: من أراد الشحم واللحم فعليه بدار عبد الله بن جدعان، وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف ونسب، وإنه من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية بعد أن كان مغرماً بها، وسبب ذلك: أنه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه، فضحك منه جلساؤه، ثم أخبروه بذلك حين صحا، فحلف أن لا يشربها أبداً. اهـ. السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢١٢).

(٢) البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣).

وقد حضر النبي ﷺ هذا الحلف الذي رفعوا به منار الحق، فهو يعتبر من مفاخر العرب وعرفانهم لحقوق الإنسان.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم[١] ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»[٢].

ورواه الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت»[٣].

ورواه الإمام أحمد عن بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال: «شهدت حلف المطيبين[٤] مع عمومتي، وأنا غلام، فما

---

(١) أي لا أحب نقضه وإن دفع لي حمر النعم في مقابلة ذلك.

(٢) سيرة ابن هشام: جـ(١) صـ(١٤٩): وإسناد حديثه مرسل، وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى: جـ(٦) صـ(١٦٧).

(٣) ذكره السهيلي في الروض الأنف: جـ(٢) صـ(٧١): وإسناده أيضاً مرسل، لكنه جاء في مسند الإمام أحمد موصولاً في الرواية التالية.

(٤) المراد بحلف المطيبين: (حلف الفضول) قال ابن كثير: هذا لا شك فيه، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي، وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار: من السقاية، والرفادة، واللواء، والندوة، والحجابة، ونازعهم فيه بنو عبد مناف، وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش، وتحالفوا على النصرة لحزبهم، فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا، فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت فسموا (المطيبين) وكان هذا قديماً. أهـ. البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٢٩).

الألوكة
www.alukah.net

أحب لي حمر النعم، وأني أنكثة»[١]، قال الزهري قال رسول الله ﷺ: «لم يصب الإسلام حلفًا إلا زاده شدة، ولا حلف في الإسلام» وقد ألف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار[٢].

قال الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - : معبرًا عن أثر هذا الحلف الكريم في نفس الرسول ﷺ: «إن بريق الفرح - بهذا الحلف - يظهر في ثنايا الكلمات التي عبر بها رسول الله ﷺ عنه، فإنه الحمية ضد أي ظالم مهما عز، ومع أي مظلوم مهما هان، هي روح الإسلام الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، الواقف عند حدود الله، ووظيفة الإسلام أن يحارب البغي في سياسات الأمم، وفي صلات الأفراد على سواء[٣].

ومما يبكي ويحزن ما حل بالعرب والمسلمين اليوم[٤] فهم في أسوأ حال: الفرقة تمزقهم، والكفر يغزوهم، قبلتهم الأولى في أسر اليهود، والمذابح والمجازر في كل مكان، وحرمات المسلمين تنتهك على مرأى ومسمع من القاصي والداني.

---

(١) أي كيف أنقضه؟، فما أحب أن أنكثه.

(٢) مسند الإمام أحمد: في مسند عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم (١٦٥٥) ورقم (١٦٧٦) وإسناد الإمام أحمد (حسن): ورجاله إسناده هم: بشر بن المفضل بن لاحق الرقاضي (ثقة)، وعبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة العامري (صدوق)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه)، ومحمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل (ثقة)، وجبير بن مطعم وعبد الرحمن بن عوف: صحابيان جليلان.

(٣) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: صـ(٧٦).

(٤) عام (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) وما قبل ذلك.

تكالب عليها الأعداء كما تتكالب الأكلة على قصعتها ليتهم يفعلون كما فعل العرب الأوائل من اتحاد الكلمة، وجمع الشمل، والتضامن الإسلامي لدفع الظلم والعدوان الواقع على المسلمين من دول الكفر والإلحاد.

خامسًا: سفره ﷺ إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها مضاربة[1]، فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين سنة[2] خرج مع ميسرة غلام خديجة إلى الشام.

وسبب ذلك أن عمه ﷺ أبا طالب قال له: يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان - أي: القحط، وليس لنا مادة - أي: ما يمدنا وما يقومنا، ولا تجارة، وهذه عير قومك حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع، فلو جئتها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك، وإن كنت لأكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود، فقال رسول الله ﷺ: «فلعلها أن ترسل إليَّ في ذلك».

فبلغ خديجة - رضي الله عنها - ما كان من محاورة عمه أبي طالب له، ثم أرسلت إليه ﷺ وقالت له: إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق

---

(١) البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣٢).

والمضاربة: مأخوذة من الضرب في الأرض وهو السفر للتجارة، وهي: عقد بين طرفين على أن يدفع أحدهما نقداً إلى الآخر لتتجر فيه، على أن يكون الربح بينهما على حسب ما يتفقان عليه.

(٢) على الراجح من أقوال ستة وعليه جمهور العلماء.

الألوكة
www.alukah.net

حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، ففعل رسول الله ﷺ، ولقى عمه أبا طالب فذكر له ذلك.

فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك، فخرج ﷺ مع غلامها ميسرة يريد الشام، وقالت خديجة لميسرة: لا تعصي له أمرًا، ولا تخالف له أمرًا، وجعل عمومته يوصون به أهل العير.

فلما قدم ﷺ الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له: «نسطورا»[١] فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه. فقال يا ميسرة: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي[٢]، ثم قال له: أفي عينيه حمرة؟[٣].

فقال الراهب: هو هو، وهو آخر الأنبياء، وليت أني أدركه حيث يؤمر بالخروج - أي يبعث - فوعى ذلك ميسرة.

---

(١) لعل« نسطورا» هذا هو الذي تنسب إليه النسطورية من النصارى، فإن النصارى افترقت ثلاث فرق: نسطورية قالوا: عيسى بن الله. ويعقوبية قالوا: عيسى هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء. وملكانية قالوا: عيسى عبد الله ونبيه.

(٢) أي صانها الله تعالى عن أن ينزل تحتها غير نبي، وجاء في بعض الروايات: أنه ﷺ نزل تحت شجرة يابسة نخر عودها، فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت، واعشوشب ما حولها، وأينع ثمارها وتدلت أغصانها على رسول الله ﷺ.

(٣) الحمرة كانت في بياض عينيه ﷺ وهي الشكلة. ومن ثم قيل في وصفه ﷺ: (أشكل العينين) فهذه الشكلة من علامات نبوته ﷺ في الكتب القديمة.

ثم أشرف الراهب على الركب وقال: فو الذي رفع السماوات بغير عمد إني لأجد في هذه الصحيفة - وكان معه رق مكتوب - أن النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين، وهو خاتم النبيين، من أطاعه نجا، ومن عصاه غوى.

ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى، فباع سلعته التي خرج بها واشترى وربح ربحًا لم يعهده ميسرة قبل ذلك.

ثم انصرف أهل العير جميعًا راجعين إلى مكة، وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه ﷺ من الشمس وهو على بعيره إذا كانت الهاجرة واشتد الحر.

وقد ألقى الله تعالى محبة رسول الله ﷺ في قلب ميسرة فكان كأنه عبده، فلما كانوا بمر الظهران[1] قال ميسرة للنبي ﷺ: هل لك أن تسبقني إلى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة إلى بكرتيك؟

فركب النبي ﷺ وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهير وخديجة في عليه - أي في غرفة - مع نساء فرأت رسول الله ﷺ تكسوه المهابة والجلال، ودخل عليها رسول الله ﷺ فخبرها بما ربحوا، وهو ضعف ما كان تربح، فسرت بذلك.

ثم جاء غلامها ميسرة وحدثها عَمَّا رآه من شأن رسول الله ﷺ وبقول الراهب نسطورا، فحينئذ رغبت في الزواج منه[2].

سادسًا: زواجه ﷺ من خديجة:

نسبها: هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية.

---

(١) مر الظهران: واد بين مكة وعسفان، واسم القرية المضافة إليه «مَرّ».

(٢) السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢١٦) وما بعدها.

الألوكة
www.alukah.net

وأمها: فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي.

وهي من أقرب نسائه إليه في النسب، ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة - رضي الله عنها -.

وكانت - رضي الله عنها - تدعى قبل البعثة «الطاهرة»، وقد تزوجت قبل النبي ﷺ برجلين:

الأول: عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وبعد أن تُوفي تزوجت بعده بأبي هالة.

الثاني: أبو هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي[١]، وابنه هند، روى عنه الحسن بن علي، فقال: «حدثني خالي» لأنه أخو فاطمة لأمها، ومات أبو هالة في الجاهلية[٢].

وكانت (رضي الله عنها) - موسرة[٣] بسبب المال الذي ورثته من زوجيها السابقين - تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها مضاربة، وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، وما قص عليها غلامها ميسرة مما سمعه ورآه في سفره معه إلى الشام من قول الراهب: «ما جلس تحت هذه الشجرة إلا نبي» ومن رؤية الملكين الذين كانا يظلانه وقت الهاجرة واشتداد الحر، وما سمعته من ابن عمها ورقة

(١) هذا قول قتادة، ووافقه ابن إسحاق، وكذا في كتاب النسب للزبير بن بكار. وذهب ابن عبد البر: إلى أنها تزوجت بأبي هالة أولاً، ثم تزوجت بعد وفاته بعتيق بن عائذ.

(٢) فتح الباري: جـ(٧) صـ(٣٤).

(٣) الإصابة في تميز الصحابة: جـ(٤) صـ(٢٨١).

ابن نوفل حينما قصت عليه ما رآه ميسرة، قال: «لئن كان هذا حقًا يا خديجة فإن محمدًا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه».

كل ذلك رغبها في الزواج من رسول الله ﷺ، فبعثت إليه ﷺ وقالت له: «يا عم! إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك[١] في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك» ثم عرضت نفسها عليه، وكانت أوسط نساء قومها نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالا، كل رجال قومها كان حريصًا على ذلك - أي على الزواج منها - لو يقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه: فخرج معه عمه حمزة[٢] حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها عليه الصلاة والسلام، وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت[٣].

وفي رواية أخرى: أن الذي ولى أمر زواجها عمها: عمرو بن أسد.

قالت المؤملي: المجتمع عليه أن عمها: عمرو بن أسد، هو الذي ولى أمر زواجها منه، وهذا هو الذي رجحه السهيلي وحكاه عن ابن عباس وعائشة قالت: وكان خويلد مات قبل حرب الفجار[٤].

وكان عمر الرسول ﷺ خمسًا وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة،

---

(١) قال السهيلي: هي من الوسط، وهو من أوصاف المدح والتفضيل.

(٢) وفي رواية: إن أبا طالب كان معه وهو الذي خطبها له.

(٣) انظر البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣٣).

(٤) المصدر السابق: جـ(١) صـ(٧٣٥) والإصابة: جـ(٤) صـ(٢٨٢).

الألوكة
www.alukah.net

فكانت أسن منه ﷺ بخمس عشرة سنة.

وفي رواية أخرى أن خديجة أرسلت إليه ﷺ «نفيسة بنت منية» ترغبه في الزواج منه ﷺ.

ونعم الرسول ﷺ بهذا الزواج المبارك، فولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم، ولدت له: القاسم به كان يكنى، وعبد الله: وهو الطيب وهو الطاهر، سمي بذلك لأنها ولدته في الإسلام، وبناته الأربع: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة[1].

وقد ذكر الرسول ﷺ فضائل أم المؤمنين خديجة فيما رواه الإمام أحمد بسنده عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق[2]، قد أبدلك الله - عز وجل - بها خيرًا منها، قال: «ما أبدلني الله - عز وجل - خيرًا منها: قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله - عز وجل - ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[3].

ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، قالت عائشة: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت».

وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين؛ لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عامًا،

---

(١) انظر الإصابة: جـ(٤) صـ(٢٨٢)، والبداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣٣).

(٢) حمراء الشدق: وصفتها بالدرد، وهو سقوط الأسنان من الكبر، فلم يبق إلا حمرة اللثاة: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: جـ(١) صـ(٤٤٠).

(٣) مسند الإمام أحمد: في مسند عائشة، حديث رقم: (٢٥٣٧٦).

انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عامًا، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة، فقد صان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها.

ومما اختصت به، سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت في الحديث الصحيح: «من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها، ومثل أجر من عمل بها....» الحديث[1].

وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله - عز وجل -.

قال النووي: في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيًا وميتًا، وإكرام معارف ذلك الصاحب[2].

وقد ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع بنات: القاسم وعبد الله، وماتا قبل البعثة، وزينت، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، فقد عشن حتى أدركن البعثة ودخلن في الإسلام وهاجرن معه ﷺ[3].

وماتت خديجة على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين في شهر رمضان، وقيل بثمان، وقيل بسبع، فأقامت معه خمسًا وعشرين سنة على الصحيح[4]، ودفنت بالحجون - رضي الله عنها - وأرضاها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: في مسند جرير بن عبد الله، رقم: (١٩٤١٤).

(٢) فتح الباري: جـ(٧) صـ(١٣٧ - ١٣٨).

(٣) البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣٣).

(٤) فتح الباري: جـ(٧) صـ(١٣٤).

الألوكة
www.alukah.net

سابعًا: تجديد بناء الكعبة، ووضع الرسول ﷺ الحجر الأسود:

لما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل عارم حتى أتى من فوق الردم الذي صفوه لمنعه السيل فأخربه ودخل الكعبة، وصدع جدرانها، بعد توهينها من الحريق الذي أصابها.

وذلك أن امرأة بخرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها، فخافوا أن تفسدها السيول.

وكان ارتفاع الكعبة تسعة أذرع من عهد إبراهيم عليه السلام، ولم يكن لها سقف.

وكان الناس يلقون الحلي والمتاع والطيب الذي يهدى إليها في بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه أعدت لذلك يقال لها «خزانة الكعبة»، وأراد شخص في أيام «جرهم» أن يسرق من ذلك شيئًا فوقع على رأسه وانهار البئر عليه فهلك.

فلما حدث هذا السيل والحريق في زمن قريش - وفي حياة النبي ﷺ - أرادوا هدمها وإعادة بنائها، وأن يشيدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا.

واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة، وأعدوا لذلك نفقة طيبة: ليس فيها ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

وكان أبو وهب عمرو بن عائذ - وهو خال عبد الله أبي النبي ﷺ، وكان شريفًا في قومه - خطب الناس في ذلك وقال: يا معشر قريش لا تدخلوا في

بنيانها من كسبكم إلا طيبًا، ولا شيئًا أُصبتموه غصبًا، ولا قطعتم فيه رحمًا، ولا انتهكتم فيه حرمةً، أو ذمة بينكم وبين أحد من الناس.

وقد شارك النبي ﷺ أعمامه في البناء ونقل الحجارة.

روى الشيخان في صحيحيهما عن جابر قال: «لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة[١] فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: إزاري[٢] فشد عليه إزاره»[٣].

ثم عمد الناس إلى الكعبة ليهدموها على شفق وحذر، أي: خوف من أن يمنعهم الله تعالى ما أرادوا، وأن يقع لهم بسبب هدم الكعبة بلاء.

فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟

قالوا: بل نريد الإصلاح، قال: فإن الله لا يهلك المصلحين.

قالوا: من الذي يعلوها فيهدمها؟ قال: أنا أعلوها وأنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع[٤]، ثم هدم من

---

(١) أي كبقية القوم فإنهم كانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة.

(٢) أي شدوا على إزاري.

(٣) صحيح البخاري: المناقب: باب بنيان الكعبة: جـ(٥) صـ(٥١) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .
وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب الاعتناء بحفظ العورة: جـ(١) صـ(٢٦٨) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

(٤) بالراء والعين المهملتين، والضمير في ترع للكعبة: أي تفرغ الكعبة لا نريد إلا الخير، وفي رواية: لم نزغ بالنون والزاي والمعجمة، أي لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه.

الألوكة
www.alukah.net

ناحية الركنين، فتربص الناس في تلك الليلة، وقالوا ننظر، فإن أصيب - بسوء - لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء هدمناها فقد رضي الله ما صنعناه.

فأصبح الوليد بن المغيرة من ليلته غاديًا[1] إلى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم - عليه السلام -.

وقد صادف هدم الكعبة مجيء سفينة بلغت مرساها من جدة حبسها الريح، وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم اسمه «باقوم» وكان بانيًا نجارًا[2].

وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد، سرحها مع «باقوم» إلى الكنيسة التي حرقها الفرس بالحبشة، فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله تعالى عليها ريحًا فحطمها أي كسرها.

فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها فأعدوه لسقف الكعبة.

ثم قسمت قريش بنيان الكعبة بينها، وقد أشار عليهم بذلك أبو وهب عمرو بن عائذ، قال لهم: إني أرى أن تقسمًا أربعة أرباع:

فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة.

---

(١) أي معافى لم يصب بسوء.

(٢) أسلم «باقوم» ثم مات ولم يدع وارثاً فدفع النبي ﷺ ميراثه لسهيل بن عمرو.

وكان ما بين الركنين الأسود واليماني[1] لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم.

وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ابني عمرو.

وكان شق الحجر - أي: الجانب الذي فيه الحجر الآن - لبني عبد الدار ولبني أسد ولبني عدي.

ولما بنت قريش الكعبة، زادوا فيها تسعة أذرع، فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعًا، ورفعوا بابها من الأرض فكان لا يصعد إليها إلا في درج أي: سلم.

وكانت قريش قد اشترطت أن لا يدخل في بنائها إلا المال الطيب - كما تقدم - فقصر المال على إتمام البناء، وضاقت بهم النفقة عن بنيانها على تلك القواعد، فأخرجوا من عرضها أذرعًا من الحجر وبنو عليه جدارًا قصيرًا علامة على أنه من الكعبة[2]. وهو ما يعرف بالحجر، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: أن النبي ﷺ قال لعائشة: «لولا أن قومك حديثوا عهد بالكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم»[3].

---

(١) قيل: سمي الركن اليماني باليماني، لأن رجلاً من أهل اليمن بناه.
وقد جاء في فضل أهل اليمن أنهم كانوا أكثر إجابة، ومن ثم جاء في الحديث: «الإيمان يمان» وقال ﷺ في حق أهل اليمن: «يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم اهـ. السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢٥٩).

(٢) السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢٢٩) وما بعدها.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب نقض الكعبة وبنائها: جـ(٢) صـ(٩٦٨).

الألوكة
www.alukah.net

• اختلافهم في وضع الحجر الأسود:

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختصموا، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى أعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا وبنو عدي - أي تحالفوا على الموت - وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم.

ومكث النزاع بينهم أربع أو خمس ليال، ثم اجتمعوا، وكان أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة أسن قريش كلها يومئذ، وهو والد أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - [1] قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من هذا الباب وهو باب بني شيبة[2] يقضي بينكم، ففعلوا.

فكان أول داخل منه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: «هذا الأمين رضيناه، هذا محمد» وكانوا يتحاكمون إليه ﷺ في الجاهلية؛ لأنه كان لا يداري ولا يماري، فلما انتهى إليهم رسول الله ﷺ وأخبروه الخبر قال ﷺ: «هلم إليَّ بثوب» فأتي به، فأخذ ﷺ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده الشريفة، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب - أي: بزاوية من زواياه - ثم ارفعوا جميعًا» ففعلوا[3]، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو ﷺ[4].

---

(١) وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم، وكان يعرف بزاد الراكب لأنه كان إذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد.

(٢) وكان يقال له في الجاهلية باب بني عبد شمس الذي يقال له باب السلام، وفي رواية: اجعلوا أول من يدخل من باب الصفا: وهو المقابل لما بين الركنين اليماني والأسود.

(٣) فكان في ربع عبد مناف: عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني: زمعة، وكان في الربع الثالث: أبو حذيفة بن المغيرة، وكان في الربع الرابع قيس بن عدي.

(٤) السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢٣٦)، وانظر سيرة ابن هشام: جـ(١) صـ(٢١٠- ٢١٤)، والبداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٣٨) وما بعدها.

وقد شاء الله وله الحكمة البالغة، أن ينهي الخلاف بين قريش الذي أوشك على الحرب بهذا الحل البارع الذي دل على قوة عقل النبي ﷺ وذكائه الذي لم يبلغه، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أراد الله بهذا الخلاف الذي وقع بين القبائل في وضع الحجر الأسود تكريم النبي ﷺ وتشريفه؛ لأن الذي وضع الحجر الأسود في مكانه هو الرسول ﷺ وكان دور القبائل المتنازعة والمتناحرة على وضعه هو رفعه من الأرض وإعطائه للرسول ﷺ.

وبذلك أراد الله - عز وجل - أن يكون واضعه أولاً عند بناء الكعبة أول الأنبياء خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن يكون واضعه عند هدمها وتجديدها خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

ثامنًا: مسلكه الشخصي ﷺ قبل البعثة:

كان الرسول ﷺ أنموذجًا فريدًا في نشأته، وفي تكوينه، وفي أخلاقه، وفي سلوكياته منذ طفولته، وكذلك جعله الله تعالى المثل الأعلى في التأسي به، والمثل الأعلى الذي لا مثيل له، فالله تعالى أمرنا بالتأسي به فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وأحواله؛ لأنه كان مجبولاً في أصل خلقته على محاسن الخصال، وكريم الفعال، فلم تؤثر فيه البيئة بتقاليدها، وعاداتها وطباعها، فما عرف عنه في طفولته ولا

الألوكة
www.alukah.net

في شبابه أنه قدس آلهة قومه، وما عرف عنه أنه سجد لصنم قط، أو تمسح به أو ذهب إلى عراف أو كاهن، بل بغضت إليه عبادة الأصنام، والتمسح بها، ولما لقي «بحيرى» الراهب قال له: أسألك بحق اللات والعزى ألا أخبرتني عما أسألك عنه، وكان «بحيرى» سمع قومه يحلفون بهما فقال له النبي : «لا تسألني بحق اللات والعزى شيئًا فو الله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما»[١].

وروى البيهقي بسنده عن زيد بن حارثة، قال: كان صنم من النحاس يقال له: إساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا[٢] فطاف رسول الله وطفت معه فلما مررت مسحت به، فقال لي رسول الله ﷺ: «لا تمسه» قال زيد فطفنا، فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته.

فقال رسول الله ﷺ: «ألم تُنْهَ» قال زيد: فو الذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنمًا قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه[٣].

ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سمعت بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله تعالى: أي فكان يقول لقريش: الشاة خلقها الله - عز وجل - وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله، فما ذقت شيئًا ذبح على النصب - أي الأصنام - حتى أكرمني الله تعالى برسالته»[٤].

وهكذا نشأ ﷺ سليم العقيدة، صادق الإيمان، عميق الفكر، غير

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: جـ(١) صـ(٧٢١)، وسيرة ابن هشام: جـ(١) صـ(١٩٨).

(٢) يعني حول الكعبة.

(٣) البداية والنهاية: جـ(١) صـ(٧٢٦).

(٤) السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢٠١).

خاضع لترهات الجاهلية، فحياته ﷺ لم تعرف فيها هفوة، ولم تحصر عليه فيها زلة.

روى أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ قال: «لما نشأت بغضت إليَّ الأوثان، وبغض إليَّ الشعر، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما، ثم لم أعد»[1].

فقد بُغِضَ إليه ﷺ قول الشعر، فلم يعرف عنه أنه قال شعرًا، أو أنشأ قصيدة أو حاول ذلك؛ لأن ذلك لا يتلاءم ومقام النبوة، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

فالله سبحانه وتعالى يخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علمه الشعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي: ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته، ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتًا على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه.

وقال أبو زرعة الرازي: حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنه قال: ما ولد عبد المطلب ذكرًا ولا أنثى إلا ويقول الشعر إلا رسول الله ﷺ[2].

ومع هذا فقد كان ﷺ يتذوق ما في الشعر من جمال وحكمة وروعة ويستنشده أصحابه أحيانًا، فقد روى مسلم بسنده عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «هل معك من شعر أمية بن

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: جـ(١) صـ(٢١٣).

(٢) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير: جـ(٣) صـ(٥٧٨).

الألوكة
www.alukah.net

أبي الصلت شيئًا؟» قلت: نعم. قال: «هيه»[1] فأنشدته بيتًا. فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتًا. فقال «هيه» حتى أنشدته مائة بيت[2]. ولا عجب فهو القائل: «إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمًا»[3].

كذلك لم يؤثر عنه ﷺ أنه شرب خمرًا قط، أو اقترف فاحشة، أو انغمس فيما كان ينغمس فيه المجتمع العربي حينئذ، من الميسر، والقمار، واللهو، واللعب، ومصاحبة الأشرار.

روي أنه قيل للنبي ﷺ: هل عبدت وثنًا قط؟ قال: «لا» قالوا: هل شربت خمرًا قط؟ قال: «لا» وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب والإيمان»[4].

لقد كان ﷺ يذكر ذلك وهو كبير ويعده من نعم الله عليه وعصمته له، فقد روى عنه أنه قال: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين وكلتاهما عصمني الله - عز وجل - فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان قريش ونحن في رعاء غنم أهلها: قلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة، فأسمر فيها كما يسمر الفتيان، فقال: نعم، فدخلت حتى جئت أول

---

(١) الهاء الأولى بدل من الهمزة، وأصله: أيه. وهي كلمة للاستزادة من الحديث المعهود، ومعنى الحديث: أن النبي ﷺ استحسن شعر أمية، واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، وهو دليل على جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الشعر: جـ(٤) صـ(١٧٦٧).

(٣) رواه أبو داود في سننه من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس: في كتاب الأدب: باب ما جاء في الشعر: جـ(٢) صـ(٥٩٩).

(٤) السيرة الحلبية: جـ(١) صـ(٢٠٤).

دار من مكة، فسمعت عزفًا بالغرابيل[1] والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة. فجلست أنظر. وضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت ما فعلت شيئًا، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسألت، فقيل نكح فلان فلانة، فجلست أنظر، فضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي. فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء ثم أخبرته الخبر، فو الله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله - عز وجل - بنبوته»[2].

• ما حفظه الله تعالى به في صغره ﷺ من أمر الجاهلية:

حتى الأمور التي قد يتسامح فيها في عهد الطفولة في أثناء اللعب قد صانه الله تعالى منها.

قال ابن إسحاق: شب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا، حتى لقب في قومه «بالأمين» لما جمع فيه من الأمور الصالحة.

وكان رسول الله ﷺ - فيما ذُكِرَ لي - يحدث عما كان الله يحفظه به في

---

(١) أي: الدفوف.

(٢) البداية والنهاية: ج ص (٧٢٥).

الألوكة
www.alukah.net

صغره وأمر جاهليته أنه قال: «لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك، وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال: شد عليك إزارك قال فأخذته وشددته عليَّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي، وإزاري عليَّ من بين أصحابي»[١].

وفي الصحيحين[٢] عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك[٣] من الحجارة، ففعل فخرَّ إلى الأرض[٤] وطمحت عيناه إلى السماء[٥]. ثم قام فقال: «إزاري، إزاري» فشد عليه إزاره.

وفي حديث آخر: أنه لما سقط، ضمه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه، فأخبره أنه نودي من السماء: «أن أشدد عليك إزارك يا محمد»، قال: وإنه لأول ما نودي[٦].

هذه كانت صفاته فيما بينه وبين نفسه، وأما فيما بينه وبين الناس، فكان أفضل قومه مروءة، وأكملهم خلقًا، وأحسنهم جوارًا، وأصدقهم حديثًا،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ج (١) ص (١٩٩)، والسيرة جـ(١) صـ(١٩٩) وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري: فضائل أصحاب النبي: باب بنيان الكعبة: جـ(٥) صـ(٥١). وصحيح مسلم: كتاب الحيض: باب الاعتناء بحفظ العورة: جـ(١) صـ(٢٦٨) واللفظ لمسلم..

(٣) معناه ليقيك الحجارة، أو من أجل الحجارة، والعاتق: ما بين المنكب إلى العنق.

(٤) أي سقط على الأرض.

(٥) أي ارتفعت.

(٦) ذكره السهيلي في الروض الأنف: جـ(٢) ص (٢٢٨).

وأبعدهم عن الفحش، وأعظمهم حلمًا، وأكثرهم أمانة حتى كان يلقب فيما بينهم «بالأمين»، فكان لا يأتمنه أحد على وديعة من الودائع إلا أداها له، ولا يأتمنه أحد على سر أو كلام إلا وجده عند حسن الظن به، فلا عجب أن كان معروفًا في قريش قبل النبوة «بالأمين» وكان لا يعاهده أحد عهدًا إلا وجد عنده حسن الوفاء، ولا يعد وعدًا إلا صدق فيه، وقد روي أنه عاهد رجلاً أن يلقاه في مكان كذا، فمكث ثلاثة أيام يذهب إلى المكان، والرجل لا يذهب، فقال له: «لقد شققت عليّ»[(١)].

وكان الصدق من صفاته البارزة، شهد له بذلك العدو والصديق ولما بعثه الله تعالى إلى الناس جميعًا، وأمره أن ينذر عشيرته الأقربين، صار ينادي بطون قريش، فلما حضروا قال لهم: «أرأيتك لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنت مصدقي؟» قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[(٢)].

ولما قابل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب، وكان لم يزل مشركًا، قال له: «وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله»[(٣)].

وكان النبي ﷺ إلى ذلك كله، وصولاً للرحم، عطوفًا على الفقراء

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: جـ(٧) ص (٤١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الشعراء: جـ(٦) صـ(١٤٠). وصحيح مسلم: كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١) صـ(١٩٤) كلاهما عن ابن عباس، و«اللفظ للبخاري».

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام: جـ(٤) صـ(٥٦).

الألوكة
www.alukah.net

وذوي الحاجة، ويقري الضيف، ويعين الضعيف، ويمسح بيديه بؤس البائسين، ويفرج كرب المكروبين، وقد وصفته بهذه السيدة العاقلة الحازمة خديجة - وهي أعرف الناس به في بدء النبوة - فقالت: «والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

وما أخصر وأوفى ما كتبه «العقاد» في هذا الصدد من قوله:

«عالم يتطلع إلى نبي، وأمة تتطلع إلى نبي، ومدينة تتطلع إلى نبي، وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لإنجاب ذلك النبي، ثم هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر في صفاته ومقدماته، ولا يدانيه رجل آخر في مناقبه الفضلى التي هيأت لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة، وفي الجزيرة، وفي العالم بأسره.

نبيل عريق النسب، وليس بالوضع الخامل فيصغر قدره في أمة الأحساب والأنساب، فقير وليس بالغني المترف فيطغيه بأس النبلاء والأغنياء، ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار.

يتيم بين رحماء، فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذي تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس، وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الآخرين.

خبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش، في البادية والحاضرة تربى في الصحراء وألف المدينة، ورعى القطعان، واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف، واقترب من السراة، ولم يبتعد عن الفقراء، فهو خلاصة

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي: جـ(١) صـ(٢).

الكفاية العربية، في خير ما تكون عليه الكفاية العربية، وهو على صلة بالدنيا التي أحاطت بقومه، فلا هو يجهلها فيغفل عنها، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق في لجتها.

أصلح رجل، من أصلح بيت، في أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التي ترقبها.

ذلك محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

فقد ظهر والمدينة مهيأة لظهوره لأنها محتاجة إليه، والجزيرة مهيأة لظهوره لأنها محتاجة إليه، والدنيا مهيأة لظهوره لأنها محتاجة إليه، وماذا من علامات الرسالة أصدق من هذه العلامة؟ وماذا من تدبير المقادير أصدق من هذا التدبير؟ وماذا عن أساطير المخترعين للأساطير أعجب من هذا الواقع ومن هذا التوفيق؟ علامات الرسالة الصادقة هي: عقيدة تحتاج إليها الأمة، وهي أسباب تمهد لظهورها، وهي رجل يضطلع بأمانتها في أوانها فإذا تجمعت هذه العلامات، فماذا يلجئنا إلى علامة غيرها؟

وإذا تعذر عليها أن تجتمع فأية علامة غيرها تنوب عنها أو تعوض ما نقص منها؟

خلق محمد بن عبد الله ليكون رسولاً مبشرًا بدين، وإلا فلأي شيء خلق؟ ولأي عمل من أعمال هذه الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوفيقات، وكل هاتيك المناقب والصفات؟.

لو اشتغل زعيمًا بالتجارة طول حياته كما اشتغل بها فترة من الزمن لكان تاجرًا أمينًا ناجحًا موثوقًا به في سوق التجارة والشراء، ولكن التجارة

الألوكة
www.alukah.net

كانت تشغل بعض صفاته ثم تظل صفاته العليا معطلة لا حاجة إليها في هذا العمل مهما يتسع لها المجال.

ولو اشتغل زعيمًا بين قومه لصلح للزعامة، ولكن الزعامة لا تستوفي كل ما فيه من قدرة واستعداد.

فالذي أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية لا سواها، وما من أحد قد أعد في هذه الدنيا لرسالة دينية إن لم يكن محمد قد أُعِدَّ لها أكمل إعداد.

والمؤرخون يجهدون أقلامهم غاية الجهد في استقصاء بشائر الرسالة المحمدية: يسردون ما أكده الرواة منها وما لم يؤكدوه، وما قبله الثقات منها، وما لم يقبلوه، وما أيدته الحوادث أو ناقضته، وما وافقته العلوم الحديثة أو عارضته، ويتفوقون في الرأي والهوى بين تفسير الإيمان، وتفسير العيان، وتفسير المعرفة، وتفسير الجهالة.

فهل يستطيعون أن يختلفوا لحظة واحدة في آثار تلك البشائر التي سبقت الميلاد، أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة واستفاض أمر الإسلام؟ لا موضع هنا لاختلاف.

فما من بشارة قط من تلك البشائر كان لها أثر في إقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبي بالرسالة، أو كان ثبوت الإسلام متوقفًا عليها لأن الذين شهدوا العلامات المزعومة يوم الميلاد: لم يعرفوا يومئذ مغزاها ومؤداها ولا عرفوا أنها علامة على شيء أو على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة.

ولأن الذين سمعوا بالدعوة بعد البشائر بأربعين سنة لم يشهدوا بشارة

واحدة منها، ولم يحتاجوا إلى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا إليه.

وقد ولد مع النبي عليه الصلاة والسلام أطفال كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها. فإذا جاز للمصدق أن ينسبها إلى مولده، جاز للمكابر أن ينسبها إلى مولد غيره، ولم تفصل الحوادث بالحق بين المصدقين والمكابرين إلا بعد عشرات السنين، يوم تأتي الدعوة بالآيات والبراهين غنية عن شهادة الشاهدين، وإنكار المنكرين.

أما العلامة التي لا التباس فيها، ولا سبيل إلى إنكارها، فهي: علامة الكون وعلامة التاريخ. قالت حوادث الكون: لقد كانت الدنيا في حاجة إلى رسالة.

وقالت حقائق التاريخ: لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة، ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ!![1].

ومن هذا العرض الموجز نرى أن حياة النبي ﷺ قبل البعثة كانت أمثل حياة، وأكرمها وأحفلها بمعاني الإنسانية والشرف والكرامة وعظمة النفس، ثم نبأه الله تعالى وبعثه فنمت فيه هذه الفضائل وترعرعت.

إن هذه الحياة الفاضلة المثلى لمن أكبر الدلائل على ثبوت نبوته ﷺ، فما سمعنا في تاريخ الدنيا قديمها وحديثها، أن حياة كلها فضل وكمال وهدى ونور وحق وخير كحياة الرسول ﷺ، ولهذا كانت شخصيته ﷺ موضع حيرة العلماء والباحثين إلى يومنا هذا.

---

(١) عبقرية محمد للعقاد: صـ(١٥) صـ(١٨) - دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

الألوكة
www.alukah.net

فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره، يلتمسون نواحي العظمة الإنسانية فيه، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع، فهو ﷺ شبيه بالوجود.

الفصل الثامن

في الهجرة

الفصل الثامن
في الهجرة [1]

كان ﷺ يوافي الموسم كل عام، يتبع الحجاج في منازلهم، وفي المواسم بعكاظ وغيرها، يدعوهم إلى الله، فلم يجبه أحد منهم، ولم يؤوه.

فكان مما صنع الله لرسوله ﷺ: أن الأوس والخزرج كانوا يسمعون من حلفائهم يهود المدينة: أن نبينا يبعث في هذا الزمان، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد.

وكانت الأنصار تحج، كغيرها من العرب، دون اليهود. فلما رأى الأنصار رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله، وتأملوا أحواله، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم أن هذا الذي توعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه.

وقدر الله بعد ذلك، أن اليهود يكفرون به، فهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩٠] والآية بعدها.

بيعة العقبة الأولى:

فلقي رسول الله ﷺ في الموسم عند العقبة: ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج، منهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك،

---

(١) من كتاب: مختصر السيرة النبوية - للشيخ الإمام المجدد/ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله) - تعليقات الشيخ/ محمد حامد الفقي - اعتنى به/ محمد محمد علي.

الألوكة
www.alukah.net

وقطبة بن عامر وعقبة ابن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب السلمي، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة، فدعوا إلى الإسلام، فنشأ الإسلام فيها، حتى لم تبق دار إلا دخلها.

فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلا - الستة الأول، خلا جابرًا - ومعهم عبادة بن الصامت، وأبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم، الجميع اثنا عشر رجلاً.

وكان الستة الأولون قد قالوا له - لما أسلموا - : إن بين قومنا من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسندعوهم إلى أمرك، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

وكان الأوس والخزرج أخوان لأم وأب، وأصلهم من اليمن من سبأ، وأمهم قيله بنت كاهل - امرأة من قضاعة - ويقال لهم لذلك: أبناء قيلة. قال الشاعر:

بهـا لـيـل مـن أولاد قـيـلـة لم يجد
عليهم خـلـيـط في مخـالـطـة عتبا

فوقعت بينهم العداوة بسبب قتيل، فلبثت الحرب بينهم مائة وعشرين سنة، إلى أن أطفأها الله بالإسلام، وألف بينهم رسول الله ﷺ، وذلك قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية.

فلما جاءه الاثنا عشر رجلاً من العام الآتي - الذين ذكرنا - ومنهم اثنان من الأوس: أبو الهيثم، وعويم بن ساعدة، والباقي من الخزرج.

فلما انصرفوا بعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، فنزل على أبي أمامة - أسعد بن زرارة - فخرج بمصعب - في إحدى خريجاته - فدخل به حائطًا من حيطان بني ظفرٍ، فجلسا فيه، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم.

• **إسلام سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير:**

فقال سعد بن معاذ - سيد الأوس - لأسيد بن حضير: اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك ذلك. وكان سعد وأسيد سيدي قومهما، فأخذ أسيد حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يكلمني أكلمه، فوقف عليهما، فقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلا، إن كان لكما في أنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس: فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال: فو الله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله.

ثم قال: ما أحسن هذا وما أجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قال له: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

فقام واغتسل، وطهر ثوبه، وتشهد وصلى ركعتين، ثم قال: إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن - سعد بن معاذ - ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد في قومه، وهم جلوس في ناديهم.

الألوكة
www.alukah.net

فقال سعد: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلمت الرجلين، فو الله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت.

وقد حدثت: أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه - وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك - ليخفروك، فقام سعد مغضبًا، للذي ذكر له.

فأخذ حربته، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما[1]. ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة! لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، تغشانا في دارنا بما نكره؟

وقد كان أسعد قال لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد.

فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس.

فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالا: تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، ففعل ذلك. ثم أخذ حربته، فأقبل إلى نادي قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به، فقال: يا بني عبد الأشهل، كيف أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، وابن سيدنا، وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة[2]. قال: فإن

(١) متشتمًا: أي: يريد شتمهما.

(٢) النقيبة: العقل والمشورة ونفاذ الرأي.

كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ﷺ فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا أسلموا، إلا الأصيرم[1]، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم وقاتل وقتل، ولم يسجد لله سجدة، فقال النبي ﷺ: «عمل قليلاً وأُجِرَ كثيرًا»[2].

عمه العباس - وهو يومئذ على دين قومه - ولكنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له.

فلما نظر العباس في وجوههم قال: هؤلاء قوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث، وكان أول من تكلم، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمي الجميع الخزرج - إن محمدًا منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا، وهو في منعة في بلده، إلا أنه أبى إلا الانقطاع إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه - بعد خروجه إليكم - فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة.

قالوا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، وخذ لنفسك ولربك ما شئت.

فتكلم رسول الله ﷺ، وقال: «أبايعكم على أن تمنعوني - إذا قدمت

---

(١) الأصيرم: هو أصيرم بن عبد الأشهل، واسمه عمرو بن ثابت بن وقش، أسد الغابة (١/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠) من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

عليكم - مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، ولكم الجنة»[١].

فكان أول من بايعه: البراء بن معرور، فقال: والذي بعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أُزُرَنا[٢]. فبايعنا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب والحلقة[٣]، ورثناها [صاغرًا][٤] عن كابر.

فاعترضه أبو الهيثم بن التيهان، وقال: إن بيننا وبين الناس حبالاً قاطعوها، فهل عسيت - إن أظهرك الله - أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟.

فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «لا والله، بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني وأنا منكم. أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم»[٥].

فلما قاموا يبايعونه، أخذ بيده أصغرهم - أسعد بن زرارة - فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة للعرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف. فإما أنتم تصبرون على ذلك. فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه. فهو أعذر لكم عند الله. فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك، فوالله ما نذر هذه البيعة ولا نستقيلها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٧٩٨)، والبيهقي (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٧)، بإسناد جيد من حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه -.

(٢) جمع إزار وهو معروف وهو هنا كناية عن المرأة.

(٣) الحلقة: السلاح عامة، وقيل: الدروع خاصة.

(٤) التصويب [كابرًا]، من المسند (٣/ ٤٦٢).

(٥) ومعنى قوله ﷺ: «الدم الدم، والدم، والهدم الهدم»، أي: إن طلب دمكم، فقد طلب دمي، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي، لاستحكام الألفة بيننا، النهاية (٥/ ٢٥١).

فقاموا إليه رجلاً رجلاً، يأخذ منهم، ويعطيهم بذلك الجنة، ثم كثر اللغط.

فقال العباس: على رسلكم: فإن علينا عيونا.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا، كفلاء على قومهم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي».

وفي رواية: «إن موسى اتخذ من قومه اثني عشر نقيبا»[1].

فكان نقيب بني النجار: أسعد بن زرارة، ونقيب بني سلمة: البراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، ونقيب بني ساعدة: سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، ونقيب بني زريق: رافع بن مالك بن عجلان، ونقيب بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، ونقيب القوافل: عبادة بن الصامت، ونقيب الأوس: أسيد بن حضير، وأبو الهيثم بن التيهان، ونقيب بني عوف: سعد بن خيثمة.

وكان جميع أهل العقبة: سبعين رجلا وامرأتين[2].

فلما بايعوه صرخ الشيطان بأنفذ صوت سمع قط: يا أهل الأخاشب، هل لكم في محمد والصبأة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم. فقال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٤١)، والبيهقي بإسناد جيد من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنه -.

(٢) نسيبة بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت، وهي «أم منيع» أحد نساء بني سلمة - رضي الله عنهما - .

الألوكة
www.alukah.net

رسول الله ﷺ: «هذا أزب العقبة[1]، أما والله يا عدو الله لأفرغن لك».

ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رحالكم».

فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل مكة غدًا بأسيافنا، فقال: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، فرجعوا.

فلما أصبحوا غدت عليهم جلة قريش، فقالوا: إنه بلغنا أنكم جئتم صاحبنا البارحة، تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

فانبعث رجال - ممن لم يعلم - يحلفون لهم بالله: ما كان من هذا شيء، والذين يشهدون ينظر بعضهم إلى بعض، وجعل عبد الله بن أبي بن سلول يقول: هذا باطل، ما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا عليَّ بمثل هذا، لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا، حتى يؤامروني.

فقال القوم - وفيهم الحارث بن هشام - وعليه نعلان جديدان، فقال كعب بن مالك كلمة - كأنه يريد أن يشرك بها القوم فيما قالوا - فقال: يا أبا جبر، أما تستطيع أن تتخذ - وأنت سيد من سادتنا - مثل نعلي هذا الفتى؟.

فسمعها الحارث، فخلعها من رجليه، ثم رمى بها إليه، وقال: والله لتنتعلنها. فقال أبو جابر: مه؟ أحفظت[2] الفتى، فاردد إليه نعليه قال: لا أردهما إليه والله فأل صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه.

---

(١) أزب العقبة: اسم شيطان.

(٢) أحفظت الفتى: أي: أغضبته.

فلما انفصلت الأنصار عن مكة: صح الخبر عند قريش، فخرجوا في طلبهم، فأدركوا سعد بن عبادة، والمنذر بن عمر. فأعجزهم المنذر ومضى، وأما سعد فقالوا له: أنت على دين محمد؟ قال: نعم، فربطوا يديه إلى عنقه بنسعة رحله، وجعلوا يسحبونه بشعره، ويضربونه - وكان ذا جمة - حتى أدخلوه مكة، فجاء المطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية، فخلصاه من أيديهم.

وتشاورت الأنصار أن يكروا إليه، فإذا هو قد طلع عليهم، فرحلوا إلى المدينة.

وكان الذي أسره ضرار بن الخطاب الفهري، وقال:

تداركت سعدًا عنوة فأسرته
وكان شفائي، لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحة
أحق دماء أن تهان وتهدرا

فأجابه حسان بن ثابت - رضي الله عنه - :

فخرت بسعد الخير حين أسرته
وقلت: شفائي لو تداركت منذرا
وإن امرءًا يهدي القصائد نحونا
كمستبضع نمرًا إلى أهل خيبرا
فلا تك كالشاة التي كان حتفها
بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

الألوكة
www.alukah.net

ولا تـك كـالـوسـنـان يحـلـم أنـه
بـقـريـة كـسرى، أو بـقـريـة قيصرا
ولا تـك كالثكلى، وكـانـت بمعزل
عـن الثكل لـو أن الـفـؤاد تفكرا
ولا تـك كـالـعـاوي، واقـبـل نحره
ولم يخشه سهم مـن النبل مضمرا
أتـفـخـر بـالـكـتـان لمـا لبسته
وقـد يلبس الأنـبـاط ريـطًـا مقصرا
فـلـولا أبـو وهـب لمـرت قصائد
عـلى شرف الـبـيـداء[1] يهوين حسرا

وسمعت قريش قائلاً يقول بالليل على - جبل - أبي قبيس:

فـإن يسلم الـسـعـدان يصبح محمد
بمكة لا يخـشـى خـلاف المخالف

قالوا: من هما؟ قال أبو سفيان: أسعد بن بكر، أم سعد بن هزيم؟

فلما كانت الليلة القابلة سمعوه يقول:

فيا سعد - سعد الأوس - كن أنت ناصرًا
ويا سعد - سعدا الخزرجين - الغطرف
أجـيـبـا إلى داعـــي الهـــدى وتمنيا
عـلى الله في الـفـردوس منة عـارف

(١) عند ابن هشام «البرقاء».

فـــإن ثـــواب الله لـلـطـالـب الهـدى
جنان مـن الـفـردوس ذات رفـارف

فقال أبو سفيان: هذا والله سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ.

• **الهجرة إلى المدينة:**

وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة على المدينة، فبادروا إليها.

وأول من خرج: أبو سلمة بن عبد الأسد، وزوجته أم سلمة، ولكنها حبست عنه سنة، وحيل بينها وبين ولدها، ثم خرجت بعد هي وولدها إلى المدينة.

ثم خرجوا أرسالاً، يتبع بعضهم بعضا، ولم يبق منهم بمكة أحد إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي - أقاما بأمر رسول الله ﷺ لهما - وإلا من احتبسه المشركون كرهًا.

وأعد رسول الله ﷺ جهازه، ينتظر متى يؤمر بالخروج، وأعد أبو بكر جهازه.

• **تآمر قريش بدار الندوة على قتل رسول الله ﷺ:**

فلما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا وخرجوا بأهليهم إلى المدينة، عرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حلقة وبأس، فخافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم، فيشتد أمره عليهم.

فاجتمعوا في دار الندوة، وحضرهم إبليس في صورة شيخ من أهل نجد، فتذاكروا أمر رسول الله ﷺ.

فأشار كل منهم برأي، والشيخ يرده ولا يرضاه، إلى أن قال أبو جهل:

الألوكة
www.alukah.net

قد فرق لي فيه برأي، ما أراكم وقعتم عليه، قالوا: ما هو؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاما جلدًا، ثم نعطيه سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق ديته.

فقال الشيخ: لله در هذا الفتى، هذا والله الرأي. فتفرقوا على ذلك.

فجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة.

وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر نصف النهار - في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعًا، فقال: «أَخرج من عندك»، فقال: إنما هو أهلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله! قال: «نعم»، فقال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت وأمي - إحدى راحلتي هاتين، فقال: «بالثمن»[1].

وأمر عليًا أن يبيت تلك الليلة على فراشه.

واجتمع أولئك النفر يتطلعون من صير الباب[2]، ويرصدونه يريدون بياته، ويأتمرون: أيهم يكون أشقاها؟

فخرج رسول الله ﷺ عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء، فذرها على رؤوسهم، وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩]، وأنزل الله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٣٨)، (٣٩٠٥)، من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

(٢) صير الباب: شقه.

ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة[1] في بيت أبي بكر ليلاً، فجاء رجل فرأى القوم ببابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم، وذر على رؤوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم.

فلما أصبحوا: قام علي - رضي الله عنه - عن الفراش، فسألوه عن محمد؟ فقال: لا علم لي به.

ومضى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور، فنسجت العنكبوت على بابه.

وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي، وكان هاديًا ماهرًا - وكان على دين قومه - وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث.

وجدَّت قريش في طلبهما، وأخذوا معهم القافة، حتى انتهوا إلى باب الغار، فوقفوا عليه. فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا»[2].

وكانا يسمعان كلامهم، إلا أن الله عمى عليهم أمرهما.

وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمًا لأبي بكر، فيريحها عليهما، ويتسمع ما يقال عنهما بمكة، ثم يأتيهما بالخبر ليلاً، فإذا كان السحر سرح مع الناس.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب،

---

(١) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، من حديث أبي بكر - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

فقطعت أسماء بنت أبي بكر، قطعة من نطاقها، فأوكت به فم الجراب، وقطعت الأخرى فصيرتها عصامًا للقربة، فبذلك لقبت «ذات النطاقين».

ومكثا في الغار ثلاثًا، حتى خمدت نار الطلب، فجاءهما ابن أريقط بالراحلتين فارتحلا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة.

• قصة سراقة بن مالك:

فلما آيس المشركون منهما جعلوا لمن جاء فيهما دية كل واحد منهما، لمن يأتي بهما أو بأحدهما، فجد الناس في الطلب. والله غالب على أمره.

فلما مروا بحي من مدلج مصعدين من قديد، بصر بهم رجل فوقف على الحي، فقال: لقد رأيت آنفًا بالساحل أسودة، ما أراها إلا محمدًا وأصحابه.

ففطن بالأمر سراقة بن مالك، فأراد أن يكون الظفر له، وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسابه، فقال: بل هما فلان وفلان، خرجا في طلب حاجة لهما، ثم مكث قليلاً.

ثم قام فدخل خباءه، وقال لجاريته: أخرجي بالفرس من وراء الخباء، وموعدك وراء الأكمة، ثم أخذ رمحه، وخفض عالية يخط به الأرض حتى ركب فرسه، فلما قرب منهم، وسمع قراءة النبي ﷺ، وأبو بكر يكثر الالتفات، ورسول الله ﷺ لا يلتفت.

قال أبو بكر: يا رسول الله، هذا سراقة بن مالك قد رهقنا[1]. فدعا عليه رسول الله ﷺ، فساخت[2] يدا فرسه في الأرض.

---

(١) رهقنا: غشينا ولحقنا.

(٢) فساخت: غاصت.

فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعوا الله لي، ولكما أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله ﷺ، فخلصت يدا فرسه، فانطلق، وسأل رسول الله ﷺ: أن يكتب له كتابًا، فكتب له أبو بكر بأمره في أديم.

وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة، فجاء به، فوفى له رسول الله ﷺ[1].

فرجع، فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر، وقد كفيتم ما هاهنا. فكان أول النهار جاهدًا عليهما، وكان آخره حارسًا لهما.

• قصة أم معبد:

ثم مروا بخيمة أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة[2]، جلدة، تحتبي بفناء الخيمة، ثم تطعم وتسقي من مر بها، فسألاها: هل عندها شيء يشترونه؟ فقالت: والله لو عندي شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب[3]- وكانت سنة شهباء[4] - فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة؟»، قالت: خلفها الجهد عن الغنم، فقال: «هل بها من لبن؟»، قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟»، قالت: نعم - بأبي أنت وأمي - إن رأيت بها حليبًا فاحلبها.

فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فتفاجت[5]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦)، ومسلم (٢٠٠٩) في حديث البراء - رضي الله عنه -.

(٢) البرزة: الكبيرة الكهلة التي تبرز الناس.

(٣) عازب: أي: بعيده المرعى لا تأوي إلى المنزل في الليل.

(٤) السنة الشهباء: لا خضرة فيها أو لا مطر.

(٥) تفاجت: أي: بالغت في تفريج ما بين الرجلين.

الألوكة
www.alukah.net

عليه ودرت، فدعا بإناء لها يربض الرهط[١]، فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب هو ﷺ وحلب فيه ثانيًا فملأ الإناء، ثم غادره عندها وارتحلوا.

فقلما لبثت أن جاء زوجها يسوق أعنزًا عجافًا، يتساوكن[٢] هزالاً، فلما رأى اللبن، قال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب، ولا حلوب في البيت؟

قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حديثه: كيت وكيت، قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه، صفيه لي يا أم معبد.

قالت: ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه[٣]، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة[٤]، ولم تزر به صعلة[٥]، وسيم قسيم[٦]، في عينيه دعج[٧]، وفي أشفاره وطف[٨]، وفي صوته صحل[٩]، وفي عنقه سطع[١٠]، وفي لحيته كثاثة أحور[١١]، أكحل، أزج[١٢]، أقرن شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم علاه

(١) يربض الرهط: أي: يرويهم، والرهط: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٢) يتساوكن: يتمايلن من الهزال.

(٣) أبلج الوجه: مشرق الوجه مضيئة.

(٤) الثجلة: ضخم البطن.

(٥) الصعلة: صغر الرأس، والدقة، والنحول في البدن.

(٦) الوسيم: الحسن الوضيء، وكذلك القسيم.

(٧) الدعج: السواد في العين وغيره.

(٨) وطف: طول.

(٩) الصحل: كالبحة، وألا يكون حاد الصوت.

(١٠) السطع: الارتفاع والطول.

(١١) أحور: أن يشتد بياض العين وسواد سوادها.

(١٢) أزج: دقة في الحاجبين وطول.

البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نذر ولا هذر[١]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تقتحمه[٢] عين من قصر، وتشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا. له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود[٣]، لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هذا - والله صاحب - قريش الذي تطلبه. ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن، إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وأصبح صوت عالٍ بمكة يسمعونه، ولا يرون القائل، يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يحاذى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
يرد بها في مصدر ثم مورد
وقد غادرت عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

---

(١) هذر: تريد أنه وسط ليس بقليل ولا كثير.

(٢) لا تقتحمه: لا تحتقره ولا تزدريه.

(٣) محشود: أي: أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه.

الألوكة
www.alukah.net

دعـاهـا بـشـاة حـائـل فتحلبت
لـه بـصريـح ضرة الـشـاة مـزبـد

فأجابه حسان بن ثابت:

لـقـد خـاب قـوم زال عنهم نبيهم
وقـدس مـن يـسري إلـيـه ويغتدي
تـرحـل عـن قـوم فـزالـت عقولهم
وحـل عـلى قـوم بـنـور مجـدد
هـداهـم بـه - بعد الضلالة - ربهم
وأرشـدهـم مـن يتبع الحـق يرشد
وقـد نـزلـت مـنـه عـلى أهـل يثرب
ركـاب هـدى حلت عليهم بأسعد
نبي يـرى مـا لا يـرى الـنـاس حوله
ويـتـلـو كـتـاب الله في كـل مشهد
وإن قـال في يـوم مـقـالـة غـائـب
فتصديقها في ضحوة الـيـوم أو غد
لـيـهـن أبـا بـكـر سـعـادة جـده
بصحبته مـن يـسـعـد الله يسعد
وبهـن بـنـي كـعـب مـكـان فتاتهم
ويـقـعـدهـا لـلـمـؤمـنـين بمرصد

قالت أسماء بنت أبي بكر: مكثنا ثلاث ليال بمكة لا ندري: أين توجه رسول الله ﷺ؟ إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات غناء

العرب، والناس يتبعونه، ويسمعون منه، ولا يرونه، حتى خرج من أعلى مكة فعرفنا أين توجه رسول الله ﷺ.

قالت: ولما خرج أبو بكر احتمل معه ماله، فدخل علينا جدي أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال: إني والله لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قلت: كلا، والله قد ترك لنا خيرًا، وأخذت حجارة، فوضعتها في كوة البيت، وقلت: ضع يدك على المال، فوضعها، وقال: لا بأس، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، قالت: والله ما ترك لنا شيئًا، وإنما أردت أن أسكت الشيخ.

دخول رسول الله ﷺ المدينة:

ولما بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه، فإذا اشتد حر الشمس رجعوا إلى منازلهم.

فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، على رأس ثلاث عشرة سنة من نبوته. خرجوا على عادتهم، فلما حميت الشمس رجعوا، فصعد رجل من اليهود على أطم[1] من آطام المدينة، لبعض شأنه فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين[2] يزول بهم السراب، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا صاحبكم، قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرونه. فثار الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله ﷺ.

وسمعت الوجبة والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، وأحدقوا بهم

---

(١) الأطم: الحصن، وكل بيت مربع مسطح، وجمعه: آطام.

(٢) مبيضين: أي: عليهم الثياب البيض.

الألوكة
www.alukah.net

مطيفين حوله.

فلما أتى المدينة، عدل ذات اليمين، حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، ونزل على كلثوم بن الهدم - أو على سعد بن خيثمة - فأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلةً، وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة.

فلما كان يوم الجمعة ركب، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب، فأخذوا بخطام راحلته، يقولون: هلم إلى القوة والمنعة والسلاح، فيقول: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فلم تزل ناقته سائرة به، لا يمر بدار من دور الأنصار، إلا رغبوا إليه في النزول عليهم، فيقول: «دعوها فإنها مأمورة»، فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم، فبركت، ولم ينزل عنها، حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم رجعت وبركت في موضعها الأول، فنزل عنها.

وذلك في بني النجار، أخواله[1] ﷺ.

وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم، فجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب خالد بن زيد إلى رحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «المرء مع رحله»، وجاء أسعد بن زرارة، فأخذ بخطام ناقته، فكانت عنده، وأصبح كما قال أبو قيس بن صرمة[2] - وكان بن عباس يختلف إليه ليحفظها عنه:

---

(١) هم أخوال جده عبد المطلب.

(٢) هو صرمة بن قيس بن صرمة الأنصاري، شاعر جاهلي، عمر طويلاً، وترهب وفارق الأوثان في الجاهلية، أدرك الإسلام في شيخوخته وأسلم عام الهجرة.

ثـوى في قـريـش بـضـع عـشرة حجة
يـذكـر لـو يـلـقى حـبـيـبًـا مـواتـيـا
ويـعـرض في أهـل المـواسـم نفسه
فـلـم يـر مـن يـؤوى ولم يـر داعـيـا
فـلـما أتـانـا واسـتـقـر بـه الـنـوى
وأصـبـح مـسـرورًا بطيبة راضـيـا
وأصـبـح لا يخـشـى ظـلامـة ظـالم
بعيد ولا يخشى مـن الـنـاس باغيا
بـذلـنـا لـه الأمـوال مـن جـل مالنا
وأنـفـسـنـا عـنـد الـوغـى والتآسيا
نعادي الـذي عـادى من الناس كلهم
جميعًا وإن كـان الحبيب المصافيا
ونـعـلـم أن الله لا رب غـيره
وأن كـتـاب الله أصـبـح هـاديـا

وكما قال حسان بن ثابت – رضي الله عنه – :

قـومـي الـذيـن هـم آووا نبيهم
وصـدقـوه وأهـل الأرض كفار
إلا خـصـائـص أقـوام هـم تبع
في الـصـالحين مـع الأنـصـار أنصار
مـسـتـبـشريـن بـقـسـم الله قـولهـم
لـمـا أتـاهـم كـريـم الأصـل مختار

الألوكة
www.alukah.net

أهـلا وسـهـلا فـفـي أمـن وفي سعة
نـعـم الـنـبـي ونـعـم الـقـسـم والجـار
فـأنـزلـوه بـدار لا يخـاف بها
مـن كـان جـارهـم دار هـي الـدار
وقـاسـمـوه بهـا الأمـوال إذ قـدمـوا
مـهـاجـريـن وقـسـم الجـاحـد الـنـار

وكما قال:

نـصرنـا وآويـنـا الـنـبـي محـمـدًا
عـلى أنـف راض مـن معد وراغـم

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ بمكة فأمر بالهجرة، وأنزل الله عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]، والنبي ﷺ يعلم: أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل الله سلطانًا نصيرًا، فأعطاه.

قال البراء: أول من قدم علينا: مصعب بن عمير، وابن أم كلثوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن، ثم جاء عمار بن ياسر، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين راكبًا، ثم جاء رسول الله ﷺ، فما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم به، حتى جعل النساء والصبيان والإماء يقلن: قدم رسول الله، جاء رسول الله ﷺ[1].

قال أنس: «شهدته يوم دخل المدينة، فما رأيت يومًا قط كان أحسن،

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٥).

ولا أضوأ من اليوم الذي دخل المدينة علينا، وشهدته يوم مات، فما رأيت يومًا قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات».

فأقام في بيت أبي أيوب حتى بنى حجره ومسجده.

وبعث رسول الله ﷺ - وهو في منزل أبي أيوب - زيد بن حارثة، وأبا رافع، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة، فقدما عليه بفاطمة، وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجه، وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وأما زينت فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر، وفيهم عائشة - رضي الله عنها - .

• بناء المسجد:

قال الزهري: بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجده، وكان مربدًا[1] لسهل وسهيل، غلامين يتيمين من الأنصار، كانا في حجر أسعد بن زرارة، فساوم رسول الله ﷺ الغلامين بالمربد، ليتخذه مسجدًا فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ فاشتراه منهما بعشرة دنانير.

وفي الصحيح[2]: أنه قال: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم»، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا من الله، وكان فيه شجر غرقد ونخل، وقبور للمشركين، فأمر رسول الله - رضي الله عنه - بالقبور فنبشت، وبالنخيل والشجر فقطع، وصفت في قبلة المسجد، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه، وأساسه قريبًا من ثلاثة أذرع، ثم

---

(١) المربد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨، ٢٧٧٩)، ومسلم (٥٢٤، ٩)، من حديث أنس - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

بنوه باللبن، وجعل رسول الله ﷺ يبني معهم، وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا أبر ربنا وأطهر

وجعلوا يرتجزون ويقول أحدهم في رجزه:

لئن قعدنا والرسول يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخرة، وباب يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه رسول الله ﷺ، وجعل عمده الجذوع، وسقفه الجريد. وقيل له: ألا تسقفه؟ قال: «عريش كعريش موسى»[1]، وبنى بيوت نسائه إلى جانبيه. بيوت الحجر باللبن، وسقفها بالجذوع والجريد.

• بناؤه بعائشة - رضي الله عنها - :

فلما فرغ من البناء، بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد، وكان بناؤه بها في شوال من السنة الأولى، وكان بعض الناس، يكره البناء في شوال. قيل: إن أصله أن طاعونا وقع في الجاهلية، وكانت عائشة تتحرى أن

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٠٧)، والسلسلة الصحيحة (٦١٦).

تدخل نساءها في شوال ونخالفهم[1]، وجعل لسودة بيتًا آخر.

• المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين:

ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، وعلى أن يتوارثوا بعد الموت، دون ذوي الأرحام، إلى وقعة بدر. فلما أنزل الله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، رد التوارث إلى الأرحام.

وقيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ عليًا أخًا لنفسه، والأثبت الأول.

وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة، فمرض أبو بكر، وكان يقول إذا أخذته الحمى:

كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى، يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يومًا مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

«اللهم العن عتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وشبية بن ربيعة، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: «اللهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٣)، من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

الألوكة
www.alukah.net

حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد، اللهم صححها، وبارك لنا في صاعها، ومدها، وانقل حماها إلى الجحفة»، قالت: فكان المولود في الجحفة، فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى[1].

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٩، ٣٩٢٦)، ومسلم (١٨٧٦)، من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

حوادث السنة الأولى

وفي السنة الأولى: زِيد في صلاة الحضر ركعتين، فصارت أربع ركعات[1].

وفيها: نزل أهل الصفة المسجد، وكانت مكانًا في المسجد ينزل فيه فقراء المهاجرين الذي لا أهل لهم ولا مال، وكان رسول الله ﷺ يفرقهم في أصحابه إذا جاء الليل ويتعشى طائفة منهم معه، حتى جاء الله بالغنى.

وهذه السنة الرابعة عشرة من النبوة: هي الأولى من الهجرة كما تقدم، ومنها أرخ التاريخ.

وتوفي فيها من الأعيان: أسعد بن زرارة، قبل أن يفرغ رسول الله ﷺ من بناء المسجد، وتوفي البراء بن معرور في صفر، قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وهو أول من مات من النقباء.

وفيها: توفي ضمرة بن جندب، وكان قد مرض بمكة، فقال لبنيه: اخرجوا بي منها، فخرجوا به يريد الهجرة، فلما أضاءة بني غفار - أو التنعيم - مات، فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠].

وكلثوم بن الهدم، الذي نزل عليه رسول الله ﷺ.

وفيها: وادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٩)، من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر».

الألوكة
www.alukah.net

وكتب بينه وبينهم كتابًا.

• إسلام عبد الله بن سلام:

وبادر عالم اليهود وحبرهم: عبد الله بن سلام فأسلم، وأبى عامتهم إلا الكفر.

وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع، والنضير، وقريظة، فنقض الثلاث العهد، وحاربهم، فمنَّ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة.

ونزلت سورة الحشر في النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة.

حوادث السنة الثانية

وفي السنة الثانية: رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذان، فأمره رسول الله ﷺ أن يلقيه على بلال.

وفيها: فرض صوم رمضان، ونسخ صوم عاشوراء، وبقي صومه مستحبًا.

وفيها: صرف الله - عز وجل - القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة.

• تحويل القبلة:

وكان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة استقبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر قبلة اليهود، وكان يحب أن يصرفه الله إلى الكعبة، وقال لجبريل ذلك، فقال: إنما أنا عبد، فادع ربك واسأله. فجعل يقلب وجهه في السماء، يرجو ذلك، حتى أنزل عليه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة]، الآيات، وكان في ذلك حكمة عظيمة، ومحنة للناس مسلمهم وكافرهم.

فأما المسلمون: فقالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]، وهم الذين هدى الله، ولم تكن بكبيرة عليهم، وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فقالوا: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾[البقرة: ١٤٢].

وأما المنافقون: فقالوا: إن كانت القبلة الأولى حقًا، فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق: فقد كان على باطل.

الألوكة
www.alukah.net

ولما كان ذلك عظيمًا وطأ الله - سبحانه - قبله أمر النسخ، وقدرته عليه، وأنه سبحانه يأتي بخير من المنسوخ أو مثله، ثم عقب ذلك بالمعاتبة لمن تعنت على رسوله ولم ينقد له، ثم ذكر بعده: اختلاف اليهود والنصارى، وشهادة بعضهم على بعض بأنهم ليسوا على شيء، ثم ذكر شركهم بقولهم له: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

ثم أخبر أن المشرق والمغرب لله، فأينما يولي عباده وجوههم فثم وجهه.

وأخبر رسوله: أن أهل الكتاب لا يرضون عنه حتى يتبع قبلتهم.

ثم ذكر خليله إبراهيم، وبناءه البيت بمعاونة ابنه إسماعيل عليهما السلام، وأنه جعل إبراهيم إمامًا للناس، وأنه لا يرغب عن ملته إلا من سفه نفسه.

ثم أمر عباده أن يأتموا به، وأن يؤمنوا بما أنزل إلى رسوله محمد ﷺ، وما أنزل إليهم وإلى سائر النبيين، وأخبر: أن الله - الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - هو الذي هداهم إلى هذه القبلة التي هي أوسط القبل، وهم أوسط الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب.

وأخبر: أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة إلا الظالمين، فإنهم يحتجون عليهم بتلك الحجج الباطلة الواهنة، والتي لا ينبغي أن تعارض الرسل بأمثالها، وليتم نعمته عليه ويهديهم.

ثم ذكر نعمته عليهم بإرسال الرسول الخاتم، وإنزال الكتاب.

وأمرهم بذكره وشكره، ورغبهم في ذلك بأنه يذكر من ذكره، ويشكر من شكره.

وأمرهم بما لا يتم إلا به، وهو الاستعانة بالصبر والصلاة، وأخبرهم: أنه مع الصابرين.[1]

ولما استقر رسول الله ﷺ في المدينة، وأيده الله بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة، ومنعته أنصار الله من الأحمر والأسود، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، والله يأمر رسوله والمؤمنين، بالكف والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، فحينئذ أذن لهم في القتال، ولم يفرضه عليهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وهي أول آية نزلت في القتال.

ثم فرض عليم قتال من قاتلهم، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠] الآية.

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] الآية.

• بعض خصائص رسول الله ﷺ:

وكان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه في الحرب، على أن لا يفروا، وربما بايعهم على الموت، وربما بايعهم على الجهاد، وربما بايعهم على الإسلام، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح، وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله.

---

(١) وذلك في سورة البقرة الآيات (١٠٦ - ١٥٣).

الألوكة
www.alukah.net

وبايع نفرًا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا، فكان السوط يسقط من أحدهم فينزل فيأخذه، ولا يسأل أحدًا أن يناوله إياه[١].

وكان يبعث البعوث يأتونه بخبر عدوه، ويطلع الطلائع، ويبث الحرس والعيون، حتى لا يخفى عليه من أمر عدوه شيء.

وكان إذا لقي عدوه دعا الله واستنصر به، وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، والتضرع له.

وكان كثير المشاورة لأصحابه في الجهاد.

وكان يتخلف في ساقتهم[٢]، فيزجي الضعيف، ويردف المنقطع.

وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها.

وكان يرتب الجيش والمقاتلة، ويجعل في كل جنبة كفؤًا لها.

وكان يبارز بين يديه بأمره.

وكان يلبس للحرب عدته، وربما ظاهر بين درعين كما فعل يوم بدر.

وكان له ألوية، وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثًا ثم قفل.

وكان إذا أراد أن يُغير ينتظر، فإذا سمع مؤذنًا لم يغر، وإلا أغار.

وكان يحب الخروج يوم الخميس بكرة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٣)، من حديث عوف بن مالك الأشجعي - رضي الله عنه -.

(٢) ساقة الجيش: مؤخرته.

وكان إذا اشتد البأس اتقوا به، وكان أقربهم إلى العدو.

وكان يحب الخيلاء في الحرب، وينهى عن قتل النساء والولدان، وينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو.

• أول لواء عقده رسول الله ﷺ:

وأول لواء عقده رسول الله ﷺ - على قول موسى بن عقبة - لواء حمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان في السنة الأولى، بعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين خاصة، يعترض عيرًا لقريش، جاءت من الشام، فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، حتى بلغوا سيف البحر[1] من ناحية العيص[2]، فالتقوا واصطفوا للقتال، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني - وكان موادِعًا للفريقين- فلم يقتتلوا.

• سرية عبيدة بن الحارث:

ثم بعث عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف في شوال من تلك السنة، في سرية إلى بطن رابغ في ستين رجلاً من المهاجرين خاصة، فلقي أبا سفيان عند رابغ، فكان بينهم الرمي، ولم يسلوا السيوف، وإنما كانت مناوشة.

وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله، ثم انصرف الفريقان، وقدم ابن إسحاق سرية حمزة.

---

(١) سيف البحر: ساحله.

(٢) ناحية العيص: موضع في بلاد بني سليم به ماء، يقال له: ذنبان العيص.

الألوكة
www.alukah.net

• سرية سعد بن أبي وقاص:

ثم بعث سعد بن أبي وقاص في ذي القعدة من تلك السنة إلى الخرار[1] من أرض الحجاز، يعترضون عيرًا لقريش. وعهد إليه: أن لا يجاوز الخرار، وكانوا عشرين. فخرجوا على أقدامهم يسيرون بالليل، ويكتمون بالنهار، حتى إذا بلغوا الخرار، فوجدوا العير قد مرت بالأمس.

(١) الخرار: موضع بالحجاز، يقال : هو قرب الجحفة، وقيل: واد من أودية المدينة، وقيل: موضع بخيبر.

ثم دخلت السنة الثانية

• عزوة الأبواء:

فغزا فيها بنفسه ﷺ عزوة الأبواء في صفر، وكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه. خرج في المهاجرين خاصة، يعترض عيرًا لقريش فلم يلق كيدًا.

وفيها وادع بني ضمرة على أن لا يغزوهم ولا يغزوه، ولا يعينوا عليه أحدًا.

• غزوة بواط:

ثم غزا بواطًا في ربيع الأول، خرج يعترض عيراً لقريش، فيها أمية بن خلف ومائة رجل من المشركين، فبلغ بواطًا - جبلاً من جبال جهينة - فرجع ولم يلق كيدًا.

• خروجه لطلب كرز بن جابر:

ثم خرج في طلب كرز بن جابر الفهري، وقد أغار على سرح[1] المدينة، فاستاقه، فخرج رسول الله ﷺ في أثره، حتى بلغ سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز.

• غزوة العشيرة:

ثم خرج في جمادى الآخرة في مائة وخمسين من المهاجرين يعترضون عيرًا لقريش ذاهبة إلى الشام، وخرج في ثلاثين بعيرًا يتعاقبونها.

فبلغ ذا العشيرة من ناحية ينبع، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهي التي

---

(١) السرح: المال يسام في المرعى من الأنعام.

الألوكة
www.alukah.net

خرجوا لها يوم بدر، لما جاءت عائدة من الشام.

وفيها: وادع بني مدلج وحلفاءهم.

• بعث عبد الله بن جحش:

ثم بعث عبد الله بن جحش إلى نخلة في رجب في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، كل اثنين على بعير. فوصلوا إلى بطن نخلة، يرصدون عيرًا لقريش.

وكان رسول الله ﷺ قد كتب له كتابًا، وأمره: أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما فتح الكتاب إذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف، فترصد قريشًا، وتعلم لنا أخبارها».

فأخبر أصحابه بذلك، وأخبرهم أنه لا يستكرههم، فقالوا: سمعًا وطاعة.

فلما كان في في أثناء الطريق، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرهما، فتخلفا في طلبه، ومضوا حتى نزلوا نخلة.

• قتل عمرو بن الحضرمي:

فمرت بهم عير قريش تحمل زبيبًا وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي، فقتلوه، وأسروا عثمان ونوفلاً ابني عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة.

فقال المسلمون: نحن في آخر من رجب، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة: دخلوا الحرم.

ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله،

وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين حتى عزلوا من ذلك الخمس، فكان أول خمس في الإسلام، وأول قتل في الإسلام، وأول أسر، فأنكر رسول الله ﷺ ما فعلوه.

واشتد إنكار قريش لذلك: وزعموا أنهم وجدوا مقالاً، فقالوا: قد أحل محمد الشهر الحرام، واشتد على المسلمين ذلك، حتى أنزل الله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية.

يقول سبحانه: هذا الذي أنكرتموه - وإن كان كبيرًا - فما ارتكبتموه وترتكبونه من الكفر بالله، والصد عن سبيله وبيته، وإخراج المسلمين منه: أكبر عند الله.

• معنى الفتنة:

و» الفتنة» هنا الشرك، كقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٢٣]، أي: لم تكن عاقبة شركهم، وآخرة أمرهم إلا أن أنكروه، وتبرؤوا منه.

وحقيقتها: الشرك الذي يدعو إليه صاحبه، ويعاقب من لم يفتتن به.

ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾[البروج: ١٠] الآية، فسرت بتعذيب المؤمنين وإحراقهم بالنار، ليرجعوا عن دينهم.

وقد تأتي«الفتنة» ويراد بها: المعصية كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ۚ ﴾[التوبة: ٤٩] الآية. وكفتنة الرجل في أهله وماله، وولده وجاره، وكالفتن التي وقعت بين أهل الإسلام.

الألوكة
www.alukah.net

وأما التي يضيفها الله لنفسه[1]: فهي التي بمعنى الامتحان والابتلاء والاختيار.

• وقعة بدر الكبرى يوم الفرقان:

فلما كان في رمضان: بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فيها أموال قريش.

فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، فخرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضع عشرة رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود.

وكان معهم سبعون بعيرًا، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

فلما كان بالروحاء[2]: رد أبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة.

ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية على علي، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ.

ولما قرب من الصفراء[3]: بعث بسبس بن عمرو، وعدى بن أبي الزغباء إلى بدر يتحسسان أخبار العير.

وبلغ أبا سفيان مخرج رسول الله ﷺ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، وبعثه حثيثًا إلى مكة، مستصرخًا قريشًا بالنفير إلى عيرهم.

---

(١) كما في قوله تعالى: {وَكَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْض} [الأنعام: ٥٣].

(٢) الروحاء: قرية على نحو أربعين ميلاً من المدينة المنورة.

(٣) الصفراء: وادٍ كثير النخل والزرع، بينه وبين بدر مرحلة.

فنهضوا مسرعين، ولم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلاً بجعل، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف، عنهم من بطون قريش إلا بني عدي فلم يشهدها منهم أحد وخرجوا من ديارهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٤٧]، فجمعهم الله على غير ميعاد، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش: استشار أصحابه، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيًا، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم ثالثًا.

ففهمت الأنصار: أن رسول الله ﷺ إنما يعينهم، فقال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول الله - وكان إنما يعنيهم؛ لأنهم بايعوه على أن يمنعوه في ديارهم - وكأنك تخشى أن تكون الأنصار ترى عليهم: أن لا ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم، فامض بنا حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا منها ما شئت، وما أخذت منها كان أحب إلينا مما تركت، فو الله لئن سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمدان[1] لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك.

وقال المقداد بن الأسود: إذًا، لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقاتل من بين يديك، ومن خلفك،

(١) ويقال له: برك الغماد، وهي قرية تقع على ساحل البحر الأحمر بين القنفذة والقحمة.

الألوكة
www.alukah.net

وعن يمينك، وعن شمالك[1].

فأشرق وجه رسول الله ﷺ بما سمع منهم، وقال: «سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مصارع القوم».

وكره بعض الصحابة لقاء النفير، وقالوا: لم نستعد لهم، فهو قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ - ٨].

وسار رسول الله ﷺ إلى بدر.

وخفض أبو سفيان، فلحق بساحل البحر، وكتب إلى قريش: أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم، فأتاهم الخبر، فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا، فنقيم بها، نطعم من حضرنا، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا تزال تهابنا أبدًا وتخافنا.

فأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع، فلم يفعلوا، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يزل الأخنس في بني زهرة مطاعًا بعدها.

وأرادت بنو هاشم الرجوع، فقال أبو جهل: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع، فساروا، إلا طالب بن أبي طالب، فرجع.

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل على ماء أدنى مياه بدر، فقال الحباب بن المنذر: إن رأيت أن نسير إلى قلب[2] - قد عرفناها - كثيرة الماء عذبة، فننزل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -.

(٢) القلب: البئر.

عليها، ونعور ما سواها من المياه؟ وأنزل الله تلك الليلة مطرًا واحدًا، صلب الرمل، وثبت الأقدام، وربط على قلوبهم.

ومشى رسول الله ﷺ في موضع المعركة، وجعل يشير بيده، ويقول: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله»[(١)]، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته ﷺ.

فلما طلع المشركون قال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها، جاءت تحادك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة».

وقام ورفع يديه، واستنصر ربه، وبالغ في التضرع، ورفع يديه حتى سقط رداؤه.

وقال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض بعد».

فالتزمه أبو بكر من ورائه، وقال: حسبك مناشدتك ربك، يا رسول الله! فو الذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك[(٢)].

واستنصر المسلمون الله واستغاثوه، فأوحى الله على الملائكة: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٩)، من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٥)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، ومسلم (١٧٦٣)، من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

وأوحى الله إلى رسوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، بكسر الدال وفتحها، قيل: إردافًا لكم، وقيل: يردف بعضهم بعضًا، لم يجيئوا دفعة واحدة.

فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها، وقلل الله المسلمين في أعينهم، حتى قال أبو جهل - لما أشار عتبة بن ربيعة بالرجوع، خوفًا على قريش من التفرق والقطيعة، إذا قتلوا أقاربهم - : إن ذلك ليس به، و لكنه - يعني عتبة - عرف أن محمدًا وأصحابه أكله جزور، وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه.

وقلل الله المشركين أيضًا في أعين المسلمين، ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

وأمر أبو جهل عامر بن الخضرمي - أخا عمرو بن الحضرمي - أن يطلب دم أخيه، فصاح، وكشف عن استه يصرخ: واعمراه، واعمراه، فحمى القوم، ونشبت الحرب.

وعدل رسول الله ﷺ الصفوف، ثم انصرف، وغفا غفوة، وأخذ المسلمين النعاس، وأبو بكر الصديق مع رسول الله ﷺ يحرسه، وعنده سعد بن معاذ، و جماعة من الأنصار على باب العريش، فخرج رسول الله ﷺ يثب في الدرع، ويتلو هذه الآية: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥][1].

ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين، فتناولوهم قتلاً وأسرًا، فقتلوا سبعين، وأسروا سبعين.

وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة: يطلبون المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا: أكفاء كرام، ما لنا بكم من حاجة، إنما نريد

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٥، ٤٨٧٥)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - .

من بني عمنا، فبرز إليهم حمزة، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقتل على قرنه الوليد، وقتل حمزة قرنه شيبة، واختلف عبيدة وعتبة ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه.

فكر حمزة وعلي على قرن عبيدة فقتلاه، واحتملا عبيدة، قد قطعت رجله، فقال: لو كان أبو طالب حيًا لعلم أنا أولى منه بقوله:

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ومات بالصفراء، وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج: ١٩] الآية.

فكان علي - رضي الله عنه - يقول: «أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة»(١).

ولما عزمت قريش على الخروج: ذكروا ما بينهم وبين بني كنانة من الحرب. فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وظن المنافقون، ومن في قلبه مرض، أن الغلبة بالكثرة، فقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٩]، فأخبر الله سبحانه: أن النصر إنما هو بالتوكل على الله وحده.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٥، ٤٧٤٤)، من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

ولما دنا العدو: قام رسول الله ﷺ، فوعظ الناس، وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر، وأن الله قد أوجب الجنة لمن يستشهد في سبيله، فأخرج عمير بن الحمام بن الجموح تمرات من قرنة يأكلهن، ثم قال: «لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة»، فرمى بهن، وقاتل حتى قتل[1]، فكان أول قتيل.

وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفه ترابًا، فرمى به في وجوه القوم، فلم تترك رجلاً منهم إلا ملأت عينيه، فهو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. واستفتح أبو جهل، فقال: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه[2] الغداة[3].

ولما وضع المسلمون أيديهم في العدو - يقتلون ويأسرون - وسعد بن معاذ واقف عند رسول الله ﷺ، في رجال من الأنصار - في العريش - رأى رسول الله ﷺ، في وجه سعيد الكراهية، فقال له: «كأنك تكره ما يصنع الناس؟»، قال: أجل، والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله في المشركين، وكان الإثخان[4] في القتل: أحب إليَّ من استبقاء الرجال.

ولما بردت الحرب، وانهزم العدو: قال رسول الله ﷺ: «من ينظر لنا ما

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، من قرنه: أي: من جعبة النشاب.

(٢) فأحنه: من الحين، وهو الهلاك.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٦١) من حديث عبد الله بن ثعلبة - رضي الله عنه -.

(٤) الإثخان في الشيء: المبالغة فيه، والمراد به ها هنا المبالغة في قتل الكفار.

صنع أبو جهل؟»[1]، فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه معوذ وعوف - ابنا عفراء - حتى برد، فأخذ بلحيته، فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: لمن الدائرة اليوم؟ قال: لله ورسوله.

ثم قال له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وهل فوق رجل قتله قومه؟ فاحتز رأسه عبد الله بن مسعود، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: «آلله الذي لا إله إلا هو؟» - ثلاثًا - ثم قال: «الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق معي فأرنيه». فانطلقنا، فأريته إياه.

فلما وقف عليه، قال: «هذا فرعون هذه الأمة».

وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف، وابنه عليًا، فأبصره بلال - وكان أمية يعذبه بمكة - فقال: رأس الكفر أمية؟ لا نجوت إن نجا، ثم استحمى جماعة من الأنصار، واشتد عبد الرحمن بهما، يحجزهما منهم، فأدركوهم، فشغلهم عن أمية بابنه علي، ففرغوا منه ثم لحقوهما، فقال له عبد الرحمن: أبرك. فبرك، وألقى عليه عبد الرحمن بنفسه، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه. وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن[2].

وكان أمية قد قال له قبل ذلك: من المعلم في صدره بريش النعام؟ فقال له: ذلك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن، فأعطاه النبي ﷺ جذلا[3] من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٢)، ومسلم (١٨٠٠) من حديث أنس - رضي الله عنه -.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠١)، من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -.

(٣) الجذل: أصل الشجرة بعد ذهاب الفرع.

الألوكة
www.alukah.net

حطب، فلما أخذه وهزه عاد في يده سيفًا طويلاً، فلم يزل يقاتل به حتى قتل يوم الردة.

ولما انقضت الحرب: أقبل النبي ﷺ، حتى وقف على القتلى، فقال: «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني، وصدقني الناس، وخذلتموني، ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس».

ثم أمر بهم فسحبوا حتى ألقوا في القليب - قليب بدر - ثم وقف عليهم، فقال: «يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، ويا فلان، ويا فلان: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا»، فقال عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «ما أنت بأسمع لما أقول منهم»[(١)].

ثم ارتحل مؤيدًا منصورًا، قرير العين، معه الأسرى والمغانم.

فلما كان بالصفراء: قسم الغنائم، وضرب عنق النضر بن الحارث.

ثم لما نزل بعرق الظبية[(٢)]: ضرب عنق عقبة بن أبي معيط.

ثم دخل المدينة مؤيدًا منصورًا، قد خافه كل عدو له بالمدينة.

فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، ودخل عبد الله بن أبي رأس المنافقين وأصحابه في الإسلام.

وجملة من حضر بدرًا: ثلاثمائة وبضع عشرة رجلاً، واستشهد منهم أربعة عشر رجلاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤)، من حديث أنس - رضي الله عنه -.

(٢) الظبية: موضع بين مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق: وكان أناس قد أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ، بسهم أهلهم بمكة، وفتنوهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومه إلى بدر، فأصيبوا فأنزل الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧] الآية.

• قسم غنائم بدر:

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بالغنائم فجمعت فاختلفوا، فقال من جمعها: هي لنا. وقال من هزم العدو: لولانا ما أصبتموها، وقال الذين يحرسون رسول الله ﷺ: ما أنتم بأحق بها منا، قال عبادة بن الصامت: فنزعها الله من أيدينا، فجعلها إلى رسول الله ﷺ، فقسمه بين المسلمين، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١] الآيات.

وذكر ابن إسحاق عن نبيه بن وهب، قال: فرق رسول الله ﷺ الأسرى على أصحابه، وقال: «استوصوا بالأسرى خيرًا»[(١)]، فكان أبو عزيز بن عمير عند رجل من الأنصار، فقال له أخوه مصعب: شد يدك به، فإن أخته ذات متاع.

فقال أبو عزيز: يا أخي، هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، قال أبو عزيز: وكنت مع رهط من الأنصار حين قفلوا، فكانوا إذا قدموا طعامًا خصوني بالخبر، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما يقع في يد رجل منهم كسرة إلا نفحني بها. قال: فأستحي فأردها على أحدهما. فيردها على ما يمسها.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٩٧٧)، وفي الصغير (٤٠٩)، من حديث أبي عزيز بن عمير، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٨٣٢).

الألوكة
www.alukah.net

• أسرى بدر:

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأسرى، وهم سبعون، وكذلك القتلى سبعون أيضًا، فأشار الصديق: أن يؤخذ منهم فدية تكون لهم قوة، ويطلقهم لعل الله يهديهم للإسلام، فقال عمر: لا والله ما أرى ذلك، ولكني أرى أن تمكننا، فنضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وصناديد[1] الشرك، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، فقال: «إن الله - عز وجل - ليلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألين من اللين، وإن الله - عز وجل - ليشدد قلوب رجال فيه، حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر! كمثل إبراهيم إذ قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، إذ قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، وإن مثلك يا عمر، كمثل موسى، قال: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]، وإن مثلك يا عمر، كمثل نوح قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]، ثم قال: أنتم اليوم عالة[2]، فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء، أو ضرب عنق». فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧]، الآيتين.

قال عمر: فلما كان من الغد، غدوت على رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد - هو وأبو بكر - يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ما يبكيك؟ وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما.

---

(١) صناديد: جمع صنديد، وهو الرجل الشجاع أو الشريف.

(٢) عالة: محتاجون ليس لكم مال.

فقال: «أبكي للذي عرض على أصحابك من الغد: من أخذهم الفداء، فقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة- لشجرة قريبة منه - وقال: لو نزل عذاب ما سلم منه إلا عمر»[1].

وقال الأنصار للنبي ﷺ: نريد أن نترك لابن أختنا العباس فداءه، فقال: «لا تدعوا منه درهما»[2].

(١) الحديث رواه أحمد (٢٠٨)، ومسلم (١٧٦٣)، من حديث عمر - رضي الله عنه - كما في منتقى الأخبار.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١٨)، من حديث انس بن مالك - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

• غزوة بني قينقاع:

فكانت فيها غزوة بني قينقاع، وكانوا من يهود المدينة، فنقضوا العهد، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلةً، فنزلوا على حكمه، فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول.

وألح على رسول الله ﷺ فيهم، فأطلقهم له، وكانوا سبعمائة رجل، وهم رهط عبد الله ابن سلام.

• غزوة أحد:

وفيها كانت وقعة أحد في شوال.

وذلك: أن الله تبارك وتعالى لما أوقع بقريش يوم بدر، ما أوقع وترأس فيهم أبو سفيان لذهاب أكابرهم، أخذ يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، ويجمع الجموع، فجمع قريبًا من ثلاثة آلاف من قريش، والخلفاء والأحابيش[1]. وجاؤوا بنسائهم لئلا يفروا، ثم أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريبًا من جبل أحد.

فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الخروج إليهم، وكان رأيه أن لا يخرجوا، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه السكك، والنساء من فوق البيوت، ووافقه عبد الله ابن أبي - رأس المنافقين - على هذا الرأي، فبادر

---

(١) الأحابيش: سموا بذلك لأن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عند جبل بأسفل مكة يسمى حبشي، وتحالفوا مع قريش، فسموا أحابيش قريش.

جماعة من فضلاء الصحابة - ممن فاته بدر - وأشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج، وألحوا عليه، فنهض ودخل بيته، ولبس لأمته[1]، وخرج عليهم، فقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج، ثم قالوا: إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل، فقال: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»[2].

فخرج في ألف من أصحابه، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وكان رسول الله ﷺ رأى رؤيا: رأى أن في سيفه ثلمة، وأن بقرًا تذبح، وأنه يدخل يده في درع حصينة. فتأول الثلمة: برجل يُصاب من أهل بيته، والبقر: بنفر من أصحابه يقتلون، والدرع: بالمدينة، فخرج وقال لأصحابه: «عليكم بتقوى الله، والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا».

فلما كان بالشوط - بين المدينة وأحدٍ - انخزل[3] عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر وقال: عصاني، وسمع من غيري، ما ندري: علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟

فرجع، وتبعهم عبد الله بن عمرو - والد جابر - يحرضهم على الرجوع، ويقول: «قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع»، فرجع عنهم وسبهم.

---

(١) لأمة الحرب: أداته، وقيل: الدرع، وقيل: السلاح.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥١) وغيره، وصحح الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٠٠).

(٣) انخزل: انفرد.

الألوكة
www.alukah.net

وسأل نفر من الأنصار رسول الله ﷺ: أن يستعينوا بحلفائهم من يهود، فأبى، وقال: «من يخرج بنا على القوم من كثبٍ؟»[١].

فخرج به بعض الأنصار، حتى سلك في حائط لمربع بن قيظي من المنافقين - وكان أعمى - فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين، ويقول: لا أحل لك أن تدخل في حائطي، إن كنت رسول الله. فابتدروه ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر».

ونفذ حتى نزل الشعب من أحدٍ، في عدوة الوادي الدنيا، وجعل ظهره إلى أحد ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم.

فلما أصبح يوم السبت تعبأ للقتال، وهو في سبعمائة منهم خمسون فارسًا، واستعمل على الرماة - وكانوا خمسين- عبد الله بن جبير، وأمرهم: أن لا يفارقوا مركزهم، ولو رأوا الطير تختطف العسكر، وأمرهم: أن ينضحوا المشركين بالنبل، لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم.

وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[٢].

وأعطى اللواء مصعب بن عمير، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام وعلى الأخرى: المنذر بن عمرو.

واستعرض الشباب يومئذ، فرد من استصغر عن القتال - كابن عمر، وأسامة بن زيد، والبراء، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة الأوسي - وأجاز من رآه مُطيقًا.

---

(١) الكثب: أي: من قرب.

(٢) يعني: لبس درعًا فوق درع.

وتعبأت قريش، وهم ثلاثة آلاف، وفيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم: خالد بن الوليد، وعلى الميسرة: عكرمة بن أبي جهل.

ودفع رسول الله ﷺ سيفه إلى أبي دجانة.

وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر - عبد عمرو بن صيفي - الفاسق، وكان يسمى: الراهب، وهو رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شَرِقَ[1] به، وجاهر بالعداوة، فذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ، ووعدهم: بأن قومه إذا رأوه أطاعوه، فلما ناداهم، وتعرف إليهم، قالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتل المسلمين قتالاً شديدًا، ثم أرضخهم بالحجارة.

وأبلى يومئذ أبو دجانة، وطلحة، وحمزة، وعلي، والنضر بن أنس، وسعد بن الربيع بلاء حسنًا.

وكانت الدولة أول النهار: للمسلمين فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين.

حتى انتهوا إلى نسائهم. فلما رأى ذلك الرماة، قالوا: الغنيمة، الغنيمة، فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ، فلم يسمعوا، فأخلوا الثغر، وكر فرسان المشركين عليه، فوجدوه خاليًا، فجاؤوا منه، وأقبل آخرهم حتى أحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة - وهم سبعون - وولى الصحابة.

وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ، فجرحوه جراحاتٍ، وكسروا رباعيته، وقتل مصعب بن عمير بين يديه، فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب.

---

(١) شرق: غُصَّ.

الألوكة
www.alukah.net

وأدركه المشركون يريدون قتله، فحال دونه نحو عشرة حتى قتلوا، ثم جالدهم طلحة بن عبيد الله حتى أجهضهم عنه، وترس أبو دجانة عليه بظهره، والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك.

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، فأتى بها رسول الله ﷺ فردها بيده، فكانت أحسن عينيه.

وصرخ الشيطان: إن محمدًا قد قتل، فوقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين.

فمر أنس بن النضر يقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم، فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه.

ثم استقبل الناس، ولقي سعد بن معاذ، فقال: يا سعد، إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، فقاتل حتى قتل، ووجد به سبعون جراحة.

وقتل وحشي الحبشي حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -، رماه بحربة على طريقة الحبشة.

وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين، فكان أول من عرفه تحت المغفر: كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه أن اسكت.

فاجتمع إليه المسلمون، ونهضوا معه على الشعب الذي نزل فيه.

فلما أسندوا على الجبل، أدركه أبي بن خلف على فرس له، كان يزعم بمكة أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ: فلما اقترب منه طعنه رسول الله ﷺ في

ترقوته، فكر منهزمًا.

فقال له المشركون: ما بك من بأس. فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات بسرف.

وحانت الصلاة فصلى بهم رسول الله ﷺ جالسًا.

وشد حنظلة بن أبي عامر على أبي سفيان. فلما تمكن منه حمل عليه شداد بن الأسود فقتله، وكان حنظلة جنبًا، فإنه حين سمع الصيحة وهو على بطن امرأته قام من فوره إلى الجهاد، فأخبر رسول الله ﷺ: «أن الملائكة تغسله».

وكان الأصيرم - عمرو بن ثابت بن وقش - يأبى الإسلام، وهو من بني عبد الأشهل، فلما كان يوم أحد: قذف الله الإسلام في قلبه للحسنى التي سبقت له، فأسلم وأخذ سيفه، فقاتل حتى أثبتته الجراح، ولم يعلم أحد بأمره، فلما طاف بنو عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم، وجدوا الأصيرم - وبه رمق يسير - فقالوا: والله إن هذا الأصيرم، ثم سألوه: ما الذي جاء بك؟ أحدب على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ومات من وقته.

فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «هو من أهل الجنة»، ولم يصل لله سجدة قط.

ولما انقضت الحرب: أشرف أبو سفيان على الجبل، ونادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه. فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، وكان النبي ﷺ هو الذي نهاهم عن الإجابة، فقال أبو سفيان: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال:

الألوكة
www.alukah.net

يا عدو الله! إن الذي ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله لك منهم ما يسوءك. ثم قال: «اُعْلُ هُبَلْ»، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل».

ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم. قال: «ألا تجيبوه؟» قالوا: ما نقول؟ قال: « قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». ثم قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. فقال عمر: لا سواء، فقتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.(١)

وأنزل الله عليهم النعاس في بدر وفي أحد، والنعاس في الحرب من الله، وفي الصلاة ومجالس الذكر من الشيطان.

وقاتلت الملائكة يوم أحد عن رسول الله ﷺ.

ففي الصحيحين(٢)، عن سعد(٣) قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه كأشد القتال، وما رأيتهما قبل ولا بعد».

ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار - وهو يتشحط في دمه - فقال: يا فلان، أشعرت أن محمدًا قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية.

وكان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله - عز وجل - به المؤمنين،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣)، من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه -.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٥)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٣) يعني: سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

وأظهر به المنافقين، وأكرم فيه من أراد كرامته بالشهادة، فكان مما نزل من القرآن في يوم أحد: إحدى وستون آية من آل عمران أولها: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران: ١٢١-١٨٠].

ولما انصرفت قريش تلاوموا فيما بينهم، وقالوا: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكتهم ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجتمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل بقيتهم.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنادى في الناس بالمسير إليهم، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال»، فقال له ابن أبي: أركب معك؟ قال: «لا».

فاستجاب له المسلمون - على ما بهم من القرح الشديد - وقالوا: سمعًا وطاعةً.

وقال جابر: يا رسول الله، إني أحب أن لا تشهد مشهدًا إلا كنت معك، وإنما خلفني أبي على بناته، فائذن لي أسير معك، فأذن له.

فسار رسول الله ﷺ، والمسلمون معه، حتى بلغوا حمراء الأسد[1]، فبلغ ذلك أبا سفيان ومن معه، فرجعوا على مكة، وشرط أبو سفيان لبعض المشركين شرطًا على أنه إذا مر بالنبي ﷺ وأصحابه: أن يخوفهم، ويذكر لهم: أن قريشًا أجمعوا للكرة عليكم ليستأصلوا بقيتكم. فلما بلغهم ذلك قالوا: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(١) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة.

الألوكة
www.alukah.net

ثم دخلت السنة الرابعة

فكانت فيها وقعة خبيب وأصحابه[1] في صفرٍ.

وقعة بئر معونة:

وفي هذا الشهر بعينه من السنة المذكورة: كانت وقعة أهل بئر معونة.

وفي شهر ربيع الأول: كانت غزوة بني النضير، ونزل فيها سورة الحشر.

ثم دخلت السنة الخامسة

• غزوة المريسيع:

فكانت غزوة المريسيع على بني المصطلق، فأغار رسول الله ﷺ، وهم غارون، فسبى رسول الله ﷺ النساء، والنعم، والشاه.

وكان من جملة السبي: جويرية بنت الحارث، سيد القوم، وقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فأدى عنها رسول الله ﷺ، وتزوجها، فأعتق المسلمون - بسبب هذا التزوج - مائة ألف من بني المصطلق. وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ.

• قصة الإفك:

وفي هذه الغزوة: كانت قصة الإفك.

وذلك: أن عائشة - رضي الله عنها - خرج بها رسول الله ﷺ معه بقرعةٍ

---

(١) وهي وقعة الرجيع، حيث غدرت هذيل بخبيب وأصحابه، فقتلوا عاصم بن ثابت وخالد بن البكير ومرثد الغنوي وعبد الله بن طارق، وأخذت قريش خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقتلوهما بمكة. وخبر غزوة الرجيع في البخاري (٤٠٨٦).

- وتلك كانت عادته مع نسائه - فلما رجعوا: نزل في طريقهم بعض المنازل.

فخرجت عائشة - رضي الله عنها - لحاجتها، ثم رجعت ففقدت عقدًا عليها، فرجعت تلتمسه، فجاء الذين يرحلون هودجها، فحملوه وهم يظنونها فيه؛ لأنها صغيرة في السن، فرجعت - وقد أصابت العقد - إلى مكانهم، فإذا ليس به داعٍ ولا مجيب، فقعدت في المنزل، وظنت أنهم يفقدونها، ويرجعون إليها، فغلبتها عيناها، فلم تستيقظ إلا بقول صفوان ابن المعطل: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ؟

وكان صفوان قد عرس[1] في أخريات الجيش؛ لأنه كان كثير النوم.

فلما رآها عرفها - وكان يراها قبل الحجاب - فاسترجع، وأناخ راحلته، فركبت، وما كلمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا استرجاعه.

ثم سار يقود بها، حتى قدم بها، وقد نزل الجيش نحر الظهيرة.

فلما رأى ذلك الناس: تكلم كل منهم بشاكلته. ووجد رأس المنافقين عدو الله عبد الله بن أبي متنفسًا، فتنفس من كرب النفاق والحسد، فجعل يستحكي الإفك، ويجمعه ويفرقه، فلما قدموا المدينة: أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، ثم استشار في فراقها، فأشار عليه علي بفراقها، وأشار عليه أسامة بإمساكها.

واقتضى تمام الابتلاء: أن حبس الله عن رسوله الوحي شهرًا في شأنها،

---

(١) عرس: نزل آخر الليل للاستراحة.

الألوكة
www.alukah.net

ليزداد المؤمنون إيمانًا، وثباتًا على العدل والصدق، ويزداد المنافقون إفكًا ونفاقًا، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم ولينقطع رجاؤها من المخلوق، وتيأس من حصول النصر والفرج إلا من الله.

فدخل عليها رسول الله ﷺ وعندها أبواها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه».

قالت لأبيها: أجب عني رسول الله، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقالت لأمها مثل ذلك، وقالت أمها مثل ذلك.

قالت: فقلت: إن قلت: إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني، ولا أجد لي ولكم مثلاً، إلا أبا يوسف حيث قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: فنزل الوحي على رسول الله ﷺ، فأما أنا، فعلمت: أن الله لا يقول إلا الحق، وأما أبواي: فو الذي ذهب بأنفاسهما، ما أقلع عن رسول الله ﷺ، إلا خفت أن أرواحهما ستخرجان، فكان أول كلمة قالها رسول الله ﷺ: «أما الله يا عائشة، فقد برأك».

فقال أبوي: قومي إلى رسول الله ﷺ، قلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله[1].

---

(١) حديث الإفك أخرجه البخاري (٢٦٦١)، (٤١٤١)، (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

وكان حسان - رضي الله عنه - ممن قيل عنه: إنه يتكلم مع أهل الإفك، فقال يعتذر لعائشة - رضي الله عنها - ، ويمدحها:

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى[1] من لحوم الغوافل
عقيلة حتى من لؤي بن غالب
كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها[2]
وطهرها من كل سوء وباطل
لئن كان ما قد قيل عني قلته
فلا رفعت سوطي إلى أناملي
وكيف؟ وودي ما حييت ونصرتي
لآل رسول الله زين المحافل

وكانت عائشة لا ترضى أن يُذكر حسان بشيء يكرهه، وتقول: إنه الذي يقول:

فإن أبي، ووالدتي، وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

فأنزل الله تعالى في هذه القصة أول سورة النور من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور من آية: ١١ إلى ٢٦]، إلى آخر القصة.

---

(١) غرثى: جائعة: أي لا تأكل لحوم الغوافل وتكف عن أعراض الناس.

(٢) الخيم: الطبع والأصل.

الألوكة
www.alukah.net

• غزوة الأحزاب:

وفي هذه السنة - وهي سنة خمس - كانت وقعة الخندق في شوال.

وسببها: أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين يوم أحد، خرج أشرافهم كسلام بن أبي الحقيق وغيره على قريش بمكة، يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ، ووعدوهم من أنفسهم النصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا على غطفان، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب.

فخرجت قريش - وقائدهم أبو سفيان - في أربعة آلاف، ووافقهم بنو سليم بمر الظهران، وبنو أسد، وفزارة، وأشجع وغيرهم. وكان من وافى الخندق من المشركين: عشرة آلاف.

فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه: استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فأمر به رسول الله ﷺ، فبادر إليه المسلمون، وعمل فيه بنفسه، وكان في حفرة من آيات نبوته قد تواتر الخبر به.

وخرج ﷺ، وهم يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من الشدة والجوع، قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»[1].

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا

على الجهاد ما بقينا أبدًا

(١) أخرجه البخاري (٤٠٩٨)، ومسلم (١٨٠٤) من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين: فتحصن بالجبل من خلفه - جبل سلع - وبالخندق أمامه، وأمر بالنساء والذراري، فجعلوا في آطام المدينة.

وانطلق حيي بن أخطب على بني قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد: أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتى فتح له. فلما دخل الحصن قال: جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش، وغطفان، وأسد، على قاداتها لحرب محمد، قال: بل جئتني والله بذل الدهر، وجئتني بجهام[1] قد أراق ماءه، فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء.

فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ، ودخل مع المشركين، وسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حيي: أنهم إن لم يظفروا بمحمد، أن يجيء حتى يدخل معهم في حصنهم، فيصيبه ما يصيبهم، فشرط ذلك ووفى له.

وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فبعث إليهم السعدين: - سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة - وخوات بن جبير، وعبد الله بن رواحة، ليتعرفوا الخبر.

فلما دنوا منهم وجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسب، ونالوا من رسول الله ﷺ.

فانصرفوا ولحنوا لرسول الله ﷺ لحنًا[2].

فعظم ذلك على المسلمين. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا، يا

---

(١) الجهام: السحاب الذي فرغ ماؤه.

(٢) أي: أشاروا له وعرضوا ولم يصرحوا، لكي لا يفت ذلك في أعضاد المسلمين.

الألوكة
www.alukah.net

معشر المسلمين».

واشتد البلاء، ونجم النفاق، واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة، وقالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهرًا.

ولم يكن بينهم قتال، لأجل الخندق، إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبدود - أقبلوا نحو الخندق. فلما وقفوا عليه قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها، ثم تيمموا مكانًا ضيقاً منه، وجالت بهم خيلهم في السبخة، ودعوا إلى البراز.

فانتدب لعمرو: علي بن أبي طالب، فبارزه، فقتله الله على يدي علي، وكان من أبطال المشركين، وانهزم أصحابه.

ولما طالت هذه الحال على المسلمين: أراد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينة بن حصن والحارث بن عوف - رئيسي غطفان - على ثلث ثمار المدينة وينصرفا بقومهما.

وجرت المفاوضة على ذلك، واستشار رسول الله ﷺ السعدين، فقالا: إن كان الله أمرك: فسمعًا وطاعة، وإن كان شيئًا تحب أن تصنعه صنعناه، وإن كان شيئًا تصنعه لنا، فلا، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة، إلا قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف.

فضرب رأيها، وقال: «إنما هو شيء أصنعه لكم، لما رأيت العرب قد

رمتكم عن قوس واحدةٍ».

ثم إن الله - عز وجل - - وله الحمد - صنع أمرًا من عنده خذل به العدو.

فمن ذلك: أن رجلاً من غطفان - يقال له: نعيم بن مسعود - جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني قد أسلمت، فمرني بما شئت، فقال: «إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة».

فذهب إلى بني قريظة - وكان عشيرًا لهم - فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: إنكم قد حاربتم محمدًا، وإن قريشًا إن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا انشمروا[1] قالوا: فما العمل؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوهم رهائن.

فقالوا: قد أشرت بالرأي، ثم مضى على قريش، فقال: هل تعلمون ودي لكم ونصحي؟ قالوا: نعم. قال: إن اليهود قد ندموا على ما كان منهم، وإنهم قد أرسلوا على محمد: أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يمالئونه عليكم، فإن سألوكم فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان، فقال لهم مثل ذلك.

فلما كانت ليلة السبت من شوال، بعثوا إلى يهود: إنا لسنا معكم بأرض مقام، وقد هلك الكراع[2] والخف، فاغدوا بنا إلى محمد حتى نناجزه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حيث أحدثوا فيه، ومع هذا، فلا نقاتل معكم حتى تبعثوا لنا رهائن.

---

(١) وفي نسخ: «انتشروا».

(٢) الكراع: اسم يجمع الخيل.

الألوكة
www.alukah.net

فلما جاءتهم رسلهم قالوا: قد صدقكم والله نعيم، فبعثوا إليهم، إنا والله لا نبعث إليكم أحدًا، فقالت قريظة: قد صدقكم والله نعيم. فتخاذل الفريقان.

وأرسل الله على المشركين جندًا من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدرًا إلا كفأتها، ولا طنبًا إلا قلعته، وجندًا من الملائكة يزلزلون بهم، ويلقون في قلوبهم الرعب، كما قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

وأرسل رسول الله ﷺ، حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم، فوجدهم على هذه الحال وقد تهيأوا للرحيل، فرجع إليه، فأخبره برحيلهم.

فلما أصبح رسول الله ﷺ، انصرف عن الخندق، راجعًا والمسلمون إلى المدينة، فوضعوا السلاح، فجاءه جبريل، وقت الظهر، فقال: أو قد وضعتم السلاح؟ إن الملائكة لم تضع بعد أسلحتها، انهض إلى هؤلاء - يعني بني قريظة - فنادى رسول الله ﷺ: «من كان سامعًا مطيعًا، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»[1].

فخرج المسلمون سراعًا، حتى إذا دنا رسول الله ﷺ من حصونهم، قال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟»، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم، (١٧٧٠) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

فقال لهم رئيسهم كعب بن أسد: إني عارض عليكم خلالاً ثلاثًا، خذوا أيها شئتم: نصدق هذا الرجل ونتبعه، فإنكم تعلمون: أنه النبي الذي تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا، قال: فاقتلوا أبناءكم ونساءكم، واخرجوا إليه مصلتي سيوفكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، قالوا: فما ضر العيش بدون أبنائنا ونسائنا؟ قال: فأنزلوا الليلة، فعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوكم فيها؛ لأنها ليلة السبت، لعلنا نصيب منهم غرة، قالوا: لا نفسد سبتنا، وقد علمت ما أصاب من اعتدوا في السبت.

قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازمًا.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ، فحكم: أن تقتل الرجال، وتقيم الأموال، وتسبى النساء والذراري[1].

وأنزل الله في غزوة الخندق صدر سورة الأحزاب، وذكر قصتهم في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٩] إلى قوله: ﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٤)، ومسلم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -.

الألوكة
www.alukah.net

الفصل التاسع

في هديه ﷺ

الفصل التاسع
في هديه ﷺ [1]

• هديه ﷺ في نومه وانتباهه:

كان ينام على الفراش تارة، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود.

قال عباد بن تميم عن عمه: رأيت رسول الله ﷺ مستلقيًا في المسجد واضعًا إحدى رِجليه على الأخرى.

وكان فراشه أدمًا حشوه ليف. وكان له مسحُ ينام عليه يثني بثنيتين، وثُنِي له يومًا أربع ثنيات، فنهاهم عن ذلك وقال: «رُدُوه إلى حالهِ الأَوَّل، فإنه منعني صلاتي اللَّيلَة»[2].

والمقصود أنه نام على الفراش، وتغطى باللحاف، وقال لنسائه: «ما أتاني جبريلُ وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة»[3].

وكانت وسادته أَدَماً حشوها ليف.

وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: «باسمك اللهمَّ أحيَا وأموت»[4].

وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، وكان يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) من كتاب: هدي محمد ﷺ في عباداته ومعاملاته وأخلاقه - د/ أحمد بن عثمان المزيد - دار الوطن للنشر - ط الخامسة عشرة (ربيع الأول) ١٤٢٩هـ. (بتصرف).

(٢) ضعيف: الترمذي. الشمائل (٣٢٢) الألباني - الشمائل المحمدية (٢٨٣).

(٣) صحيح: البخاري (٧/ ٨٤).

(٤) صحيح: البخاري (١١/ ٩٦)، مسلم (٢٧١١).

الألوكة
www.alukah.net

﴿ أَحَدٌ ﴾، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»[(١)].

وكان يقول إذا أوى إلى فراشه: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[(٢)].

وذكر أيضًا أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللهم رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل، والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغَننا من الفقر»[(٣)].

وكان إذا استيقظ من منامه في الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم إني أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي

---

(١) صحيح: سنن أبي داود (٥٠٤٥)، الترمذي (٣٣٩٥). الألباني - السلسلة الصحيحة (٢٧٠٣).

(٢) صحيح: مسلم (٢٧١٥).

(٣) صحيح: مسلم (٢٧١٣).

بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب»[(١)].

وكان إذا انتبه من نومه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[(٢)]. ثم يتسوك، وربما قرأ العشر الآيات من آخر«آل عمران» من قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾إلى آخرها [آل عمران: ١٩٠].

وقال: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت إلهي، لا إله إلا أنت»[(٣)].

وكان ينام أول الليل، ويقوم آخره، وربما سهر أول الليل في مصالح المسلمين، وكان تنام عيناه، ولا ينام قلبه، وكان إذا نام، لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ.

وكان إذا عرس بليل، اضطجع على شقة الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح، نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه، هكذا قال الترمذي.

وقال أبو حاتم: في «صحيحه»: كان إذا عرس بالليل، توسد يمينه، وإذا عرَّس قبيل الصبح، نصب ساعده، وأظن هذا وهمًا، والصواب حديث

---

(١) ضعيف: سنن أبي داود (٥٠٦١)، الألباني - السلسلة الضعيفة (١٧٠٤).

(٢) صحيح: البخاري (١١/ ١١١) مسلم (٢٧١١).

(٣) صحيح: البخاري (١١/ ١٠١) مسلم (٧٦٩).

الألوكة
www.alukah.net

الترمذي.

وقال أبو حاتم: والتعريس إنما يكون قبيل الصبح.

وكان نومه أعدل النوم، وهو أنفع ما يكون من النوم، والأطباء يقولون: هو ثلث الليل والنهار، ثمان ساعات.

• هديه ﷺ في معاملته:

كان أحسن الناس معاملة، وكان إذا استسلف سلفًا قضى خيرًا منه.

وكان إذا استسلف من رجل سلفًا، قضاه إياه، ودعا له، فقال: «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء»(١).

واستسلف من رجل أربعين صاعًا، فاحتاج الأنصاري، فأتاه، فقال ﷺ: ما جاءنا من شيء بعد فقال الرجل: وأراد أن يتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل إلا خيرًا، فأنا خير من تسلف»(٢). فأعطاه أربعين فضلاً، وأربعين سلفةً، فأعطاه ثمانين. ذكره البزار.

واقترض بعيرًا، فجاء صاحبه يتقاضاه، فأغلظ للنبي ﷺ، فهمَّ به أصحابه، فقال: «دعوهُ فإن لصاحب الحق مقالاً»(٣).

واشترى مرة شيئًا وليس عنده ثمنه فأربح به، فباعه، وتصدق بالربح على أرامل بني عبد المطلب، وقال: «لا أشتري بعد هذا شيئًا إلا وعندي

---

(١) صحيح: النسائي (٧/ ٣١٤)، ابن ماجه (٢٤٢٤). الألباني - صحيح النسائي (٤٣٦٦).

(٢) صحيح: الهيثمي (٤/ ١٤١). الألباني - صحيح الترغيب والترهيب (١٧٥٤).

(٣) صحيح: البخاري (٤/ ٣٩٤).

ثمنه»[1].

ذكره أبو داود، وهذا لا يناقض الشراء في الذمة إلى أجل، فهذا شيء، وهذا شيء.

وتقاضاه غريم له دينًا، فأغلظ عليه، فهمَّ به عمر بن الخطاب فقال: «مه يا عمر كنت أحوج إلى أن تأمرني بالوفاء. وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر»[2].

وباعه يهودي بيعًا إلى أجل، فجاءه قبل الأجل يتقاضاه ثمنه، فقال: لم يحل الأجل[3]، فقال اليهودي: إنكم لمطل يا بني عبد المطلب، فهمَّ به أصحابه، فلم يزده ذلك إلا حلمًا، فقال اليهودي: كل شيء منه قد عرفته من علامات النبوة، وبقيت واحدة، وهي أنه لا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فأردت أن أعرفها، فأسلم اليهودي.

• هديه ﷺ في سفره وعبادته فيه:

كانت أسفاره ﷺ دائرة بين أربعة أسفار: سفرة لهجرته، وسفرة للجهاد وهو أكثرها، وسفرة للعمرة، وسفرة للحج.

وكان إذا أراد سفرًا، أقرع بين نسائه، فأيَّتُهُن خرج سهمها، سافر بها معه، ولما حج، سافر بهن جميعًا.

وكان إذا سافر، خرج من أول النهار، وكان يستحب الخروج يوم

---

(١) ضعيف: أبو داود (٣٣٤٤). الألباني - السلسلة الضعيفة (ج٦١٧٢).

(٢) ضعيف: الحاكم (٢/ ٣٢)، الألباني - السلسلة الضعيفة (١٣٤١).

(٣) ابن حبان (٢١٠٥).

الألوكة
www.alukah.net

الخميس، ودعا الله تبارك وتعالى أن يبارك لأمته في بكورها.

وكان إذا بعث سرية أو جيشًا، بعثهم من أول النهار، وأمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمروا أحدهم.

ونهى أن يسافر الرجل وحده، وأخبر أن الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب.

وذكر عنه أنه كان يقول حين ينهض للسفر «اللهم إليك توجهت، وبك اعتصمت، اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به، اللهم زودني التقوى، واغفر لي ذنبي، ووجهني للخير أينما توجهت».

وكان إذا قدمت إليه دابته ليركبها، يقول: «بسم الله» حين يضع رجله في الركاب، وإذا استوى على ظهرها، قال: «الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم يقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ثم يقول: سبحانك إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1].

وكان يقول: «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال». وإذا رجع، قالهن، وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[2].

---

(١) صحيح: أبو داود (٢٦٠٢)، الترمذي (٣٤٤٣). الألباني - صحيح أبو داود (٢٢٦٧).

(٢) صحيح: مسلم (١٣٤٢).

وكان هو وأصحابه إذا علوا الثنايا، كبروا، وإذا هبطوا الأودية، سبحوا.

وكان إذا أشرف على قرية يريد دخولها يقول: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها»[(١)].

وذكر عنه أنه كان يقول: «اللهم إني أسألك من خير هذه القرية وخير ما جمعت فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها، اللهم ارزقنا جناها، وأعذنا من وباها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا».

وكان يقصر الرباعية، فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرًا إلى أن يرجع إلى المدينة، ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية في سفره البتة، وأما حديث عائشة: أن النبي ﷺ كان يقصر في السفر، ويتم، ويفطر ويصوم، فلا يصح.

• هديه ﷺ في السلام:

وثبت عنه في «صحيح البخاري» «يسلمُ الصغيرُ على الكبيرِ، والمارُ على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ».

وفي «جامع الترمذي» عنه: «يسلم الماشي على القائم»[(٢)].

وفي «مسند البزار» عنه: يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والماشيان أيهما بدأ، فهو أفضل.

---

(١) صحيح: ابن السني. عمل اليوم والليلة (١٩٧)، الحاكم (٢/ ١٠٠). الألباني: الكلم الطيب (١٤١).

(٢) صحيح: الألباني - صحيح الترمذي (٢١٧٥).

الألوكة
www.alukah.net

وفي «سنن أبي داود» عنه: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»[١].

وكان من هديه ﷺ السلام عند المجيء إلى القوم، والسلام عند الانصراف عنهم، وثبت عنه أنه قال: «إذا قعد أحدكم، فليسلم، إذا قام، فليسلم، وليست الأولى أحق من الآخرة»[٢].

وذكر أبو داود عنه: «إذا لقي أحدكم صاحبه فليسلم عليه، فإن حال بينهما شجرة أو جدارًا، ثم لقيه فليسلم عليه أيضًا»[٣].

وقال أنس - رضي الله عنه - : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون، فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة تفرقوا يمينًا وشمالاً، وإذا التقوا من ورائها، سلم بعضهم على بعض.

• هديه ﷺ في دخول المسجد:

ومن هديه ﷺ أن الداخل إلى المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد، ثم يجيء فيسلم على القوم فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق هو حق لهم، وحق الله في مثل هذا أحق بالتقديم، بخلاف الحقوق المالية، فإن فيها نزاعًا معروفًا، والفرق بينهما حاجة الآدمي وعدم اتساع الحق المالي لأداء الحقين، بخلاف السلام.

وكانت عادة القوم معه هكذا، يدخل أحدهم المسجد، فيصلي ركعتين،

---

(١) صحيح: أحمد (٥/ ٢٦٩، ٢٦٤، ٢٦١)، أبو داود (٥١٩٧)، الألباني: صحيح الجامع (٢٠١١).

(٢) صحيح: أبو داود (٥٢٠٨)، الترمذي (٢٧٠٧)، الألباني. السلسلة الصحيحة. صـ(١٨٣) بلفظ: (إذا انتهى أحدكم.....).

(٣) صحيح: أبو داود (٥٢٠٠)، الألباني - السلسلة الصحيحة (١٨٦).

ثم يجيء، فيسلم على النبي ﷺ، ولهذا جاء في حديث رفاعة ابن رافع أن النبي ﷺ بينما هو جالس في المسجد يومًا قال رفاعة: ونحن معه إذ جاء رجل كالبدوي، فصلى، فأخف صلاته، ثم انصرف فسلم على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «وعليك فارجع، فصل، فإنك لم تصل»[1].. وذكر الحديث فأنكر عليه صلاته، ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه إلى ما بعد الصلاة.

وعلى هذا: فيسن لداخل المسجد إذا كان فيه جماعة ثلاث تحيات مترتبة: أن يقول عند دخوله: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم يصلي ركعتين تحية المسجد. ثم يسلم على القوم.

• هديه ﷺ في تحميل السلام للغائب:

وكان يسلم بنفسه على من يواجهه، ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه، ويتحمل السلام لمن يبلغه إليه، كما تحمل السلام من الله - عز وجل - على صديقة النساء خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - لما قال له جبريل: «هذه خديجة قد أتتك بطعام، فاقرأ السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة».

وقال للصديقة الثانية بنت الصديق عائشة - رضي الله عنها - : «هذا جبريل يقرأ عليك السلام»[2] فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، يرى ما لا أرى.

---

(١) صحيح: البخاري (٢/ ٢٢٩، ٢٣١)، مسلم (٣٧١).

(٢) صحيح: البخاري (٧/ ٨٣)، مسلم (٢٤٤٧).

الألوكة
www.alukah.net

• هديه ﷺ فيما يقوله من لحقته الطيرة:

ذُكر عنه أنه ذُكرت الطيرة عنده، فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا، فإذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[(١)].

وكان كعب يقول: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بك، والذي نفسي بيده، إنها لرأس التوكل، وكنز العبد في الجنة، ولا يقولهن عبد عند ذلك، ثم يمضي إلا لم يضره شيء»[(٢)].

• هديه ﷺ فيما يقوله ويفعله من اشتد غضبه:

أمره ﷺ أن يطفئ عنه جمرة الغضب بالوضوء، والقعود إن كان قائمًا، والاضطجاع إن كان قاعدًا، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

ولما كان الغضب والشهوة جمرتين من نارٍ في قلب ابن آدم، أمر أن يطفئها بالوضوء، والصلاة، والاستعاذة من الشيطان الرجيم، كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[البقرة: ٤٤]

وهذا إنما يحمل عليه شدة الشهوة، فأمرهم بما يطفئون بها جمرتها، وهو الاستعانة بالصبر والصلاة، وأمر تعالى بالاستعاذة من الشيطان عند نزغاته.

ولما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، وكانت نهاية قوة الغضب القتل، ونهاية قوة الشهوة الزنى، جمع الله تعالى بين القتل والزنى، وجعلهما قرينين في سورة «الأنعام» وسورة «الإسراء»، وسورة «الفرقان»

---

(١) ضعيف: أبو داود (٣٩١٩)، الألباني - السلسلة الضعيفة (١٦١٩).

(٢) صحيح: أحمد (٢/ ٢٢٠)، الألباني. ص. ض. (١٠٦٢).

وسورة «الممتحنة».

والمقصود: أنه سبحانه أرشد عباده إلى ما يدفعون به شر قوتي الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة.

• هديه ﷺ إذا رأى ما يحب أو ما يكره:

وكان ﷺ إذا رأى ما يحب، قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات». وإذا رأى ما يكره، قال: «الحمد لله على كل حال»(١).

• هديه ﷺ لمن أسدى إليه معروفًا:

وكان ﷺ يدعو لمن تقرب إليه بما يحب وبما يناسبه، فلما وضع له ابن عباس وضوءه قال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»(٢).

ولما دعمه أبو قتادة في مسيرة بالليل لما مال عن راحلته، قال: «حفظك الله بما حفظت به نبيه»(٣).

وقال: «من صُنِعَ إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء»(٤).

واستقرض من عبد الله بن أبي ربيعه مالاً، ثم وفاه إياه، وقال: «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء»(٥).

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٨٠٣)، ابن السني (٣٨٠)، الألباني - السلسلة الصحيحة (٢٦٥).

(٢) صحيح: أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥)، الألباني - السلسلة الصحيحة (٢٥٨٩).

(٣) صحيح: مسلم (٦٨١).

(٤) صحيح: الترمذي (٢٠٣٦)، الألباني - صحيح الترغيب والترهيب (٩٧٠).

(٥) صحيح: النسائي (٧/ ٣١٤)، ابن ماجه (٢٤٢٤)، الألباني - صحيح الترغيب والترهيب (١٧٥٧).

الألوكة
www.alukah.net

ولما أراحه جرير بن عبد الله البجلي من ذي الخلصة: صنم دوس، برك على خيل قبيلته أحمس ورجالها خمس مرات.

وكان ﷺ إذا أهديت إليه هدية فقبلها، كافأ عليها بأكثر منها، وإن ردها اعتذر إلى مهديها، كقوله للصعب ابن جثامة لما أهدى إليه لحم الصيد: «إنَّا لم نرُدَّهُ عليكَ إلَّا أنَّا حُرُمٌ»[1] والله أعلم.

• هديه ﷺ في مجالسه، وغير ذلك:

وأمر ﷺ أمته إذا سمعوا نهيق الحمار أن يتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، وإذا سمعوا صياح الديكة، أن يسألوا الله من فضله.

ويروى عنه ﷺ، أنه أمرهم بالتكبير عند رؤية الحريق، فإن التكبير يطفئه.

وكره ﷺ لأهل المجلس أن يخلو مجلسهم من ذكر الله - عز وجل -، وقال: «ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة الحمار»[2].

وقال ﷺ: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع لا يذكر الله فيه، كانت عليه من الله ترةٌ»[3]. والترة: الحسرة.

وفي لفظ: «وما سلك أحد طريقًا لم يذكر الله فيه، إلا كانت عليه ترة».

---

(١) صحيح: البخاري (٤/ ٢٨، ٢٦)، مسلم (١١٩٣).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٨٥٥)، أحمد (٢/ ٤٩٤، ٣٨٩)، الألباني - صحيح أبو داود (٤٠٦٤).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٨٥٦)، الألباني - صحيح أبو داود (٤٠٦٥).

وقال ﷺ: «من جلس في مجلسٍ، فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك»(١).

وفي «سنن أبي داود» و«مستدرك الحاكم» أنه كان يقول ذلك إذا أراد أن يقوم من المجلس، فقال له رجلٌ: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى. قال: «ذلك كفارة لما يكون في المجلس»(٢).

• هديه ﷺ في الأرق:

شكى إليه خالد بن الوليد الأرق بالليل، فقال له:«إذا أويت على فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارًا من شر خلقك كلهم جميعًا من أن يفرط أحد منهم علي، أو أن يطغى علي، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله إلا أنت»(٣).

وكان ﷺ يعلم أصحابه من الفزع: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ومن شر عباده، ومن شر همزات الشياطين، وأن يحضرن»(٤).

ويذكر أن رجلاً شكى إليه ﷺ أنه يفزع في منامه، فقال:«إذا أويت إلى فراشك فقل...»(٥). ثم ذكرها، فقالها فذهب عنه.

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٤٢٩)، أبو داود (٤٨٥٩)، الألباني - صحيح الجامع (٦١٩٢).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٨٥٩)، الحاكم (١/ ٥٣٧)، الألباني - صحيح الترغيب والترهيب (١٥١٧).

(٣) ضعيف: الترمذي (٣٥١٨)، الألباني - السلسلة الضعيفة (٢٤٠٣).

(٤) صحيح: أبو داود (٣٨٩٣)، الترمذي (٣٥١٩)، الألباني - السلسلة الصحيحة (٢٦٤).

(٥) صحيح: الألباني - صحيح أبو داود (٣٢٩٤).

الألوكة
www.alukah.net

• ألفاظ كان ﷺ يكره أن تقال:

فمنها أن يقول: خبثت نفسي، أو جاشت نفسي، وليقل: لقست.

ومنها: أن يسمى شجر العنب كرمًا، نهى عن ذلك، وقال: «لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: العنب والحبلة»(١).

وكره أن يقول الرجل: هلك الناس. وقال:« إذ قال ذلك، فهو أهلكهم»(٢). وفي معنى هذا: فسد الناس، وفسد الزمان ونحوه.

ونهى أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان، بل يقال: ما شاء الله، ثم شاء فلان. فقال له رجلُ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده»(٣).

وفي معنى هذا: لولا الله وفلان، لما كان كذا، بل هو أقبح وأنكر، وكذلك: أنا بالله وبفلان، وأعوذ بالله وبفلان، وأنا في حسب الله وحسب فلان، وأنا متكل على الله وعلى فلان، فقائل هذا، قد جعل فلانًا ندًا لله – عز وجل –.

ومنها: أن يقال: مطرنا بنوء كذا وكذا، بل يقول: «مطرنا بفضل الله ورحمته».

ومنها: أن يحلف بغير الله. صح عنه أن قال:«من حلف بغير الله فقد

---

(١) صحيح: مسلم (٢٢٤٨).

(٢) صحيح: مسلم (٢٦٢٣).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٩٨٠)، أحمد (١/ ٢٨٣، ٢٢٤)، الألباني – السلسلة الصحيحة (١٣٩).

أشرك»[1].

ومنها: أن يقول في حلفه: هو يهودي، أو نصراني، أو كافر، إن فعل كذا.

ومنها: أن يقول لمسلم: يا كافر.

ومنها: أن يقول للسلطان: ملك الملوك. وعلى قياسه، قاضي القضاة.

ومنها: أن يقول السيد لغلامه وجاريته: عبدي، وأمتي، ويقول الغلام لسيده: ربي، وليقل السيد: فتاي وفتاتي، وليقل الغلام: سيدي وسيدتي.

ومنها: سب الريح إذا هبت، بل يسأل الله خيرها، وخير ما أرسلت به، ويعوذ بالله من شرها وشر ما أرسلت به.

ومنها: سب الحمى، نهى عنه، وقال: «إنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد»[2].

ومنها: النهي عن سب الديك، صح عنه أنه قال: «لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة»[3].

ومنها: الدعاء بدعوى الجاهلية، والتعزي بعزائهم، كالدعاء على القبائل والعصبية، وكونه منتسبًا إليه، فيدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية.

ومنها: تسمية العشاء بالعتمة تسمية غالبة يهجر فيها لفظ العشاء.

---

(١) صحيح: أحمد (٢/ ٨٧، ٦٧، ٣٤)، الترمذي (١٥٣٥)، الألباني. ر. (٢٥٦١).

(٢) صحيح: مسلم (٢٥٧٥).

(٣) صحيح: أحمد (٥/ ١٩٣)، أبو داود (٥١٠١)، الألباني - صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٩٧).

الألوكة
www.alukah.net

ومنها: النهي عن سباب المسلم. وأن يتناجى اثنان دون الثالث. وأن تخبر المرأة زوجها بمحاسن امرأة أخرى.

ومنها: أن يقول في دعائه: «اللهم أغفر لي إن شئت، وارحمني إن شئت»[1].

ومنها: الإكثار من الحلف.

ومنها: كراهة أن يقول: قوس قزح لهذا الذي يرى في السماء.

ومنها: أن يسأل أحدًا بوجه الله.

ومنها: أن يسمي المدينة بيثرب.

ومنها: أن يسأل الرجل فيم ضرب امرأته، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ومنها أن يقول: صمت رمضان كله، أو قمت الليل كله.

(١) صحيح: البخاري: (١١/ ١١٨)، مسلم (٢٦٧٩).

الفصل العاشر

الصحابي يسأل، والنبي ﷺ يجيب

الفصل العاشر

الصحابي - رضي الله عنه - يسأل، والنبي ﷺ يجيب [1]

(١) أي الإسلام خير؟

السؤال: أي الإسلام خير؟

الجواب: روى الخمسة إلا الترمذي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟

قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

أي الإسلام خير: أي خصاله أكثر ثوابًا.

الفائدة: أجاب النبي ﷺ على السائل بإطعام الطعام وإفشاء السلام؛ لأن نفعهما يعود على الخلق، وبهما ينتشر الأمان في الأرض.

(٢) العلم

السؤال: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم.

الجواب: روى أحمد عن صفوان بن عسال المرادي - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم.

فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب».

---

(١) من كتاب: الصحابي - رضي الله عنه - يسأل والنبي ﷺ يجيب - سلمان نصيف الدحدوح. (بتصرف يسير).

الألوكة
www.alukah.net

الفائدة: رحب النبي ﷺ بطالب العلم، وقال: إن الملائكة تحف وتحيط بطالب العلم حبًا لما يطلبه، وهو دليل على أهمية طلب العلم وثوابه.

(٣) لم فعلت هذا؟

السؤال: يا رسول الله لم فعلت هذا؟

الجواب: روى الخمسة عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة.

قالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟

قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

الفائدة: أن النبي ﷺ فعل ذلك رجاء تخفيف العذاب عن صاحبي القبرين ما دامت الجريدة رطبة، فإن الأخضر يستغفر للميت ما دام رطبًا.

وقد بين رسول الله ﷺ سبب عذابهما، فأحدهما كان لا يستبرئ ولا يستنزه ولا يتحفظ من البول، بل كان يتركه فيخرج منه شيء بعد الاستنجاء.

وأما الآخر فقد كان يمشي بالإفساد بين الناس بالكلام.

(٤) الدعاء قبل الإسلام

السؤال: علمني دعاء أدعو به في صلاتي.

الجواب: روى الخمسة إلا أبا داود عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي.

قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فأغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».

الفائدة: دعاء مأثور عن النبي ﷺ تعلمه أصحاب رسول الله ﷺ قدوة وعملاً وسلوكًا.

(٥) الترغيب في كثرة السجود

السؤال: يا رسول الله أخبرني بعمل أستقيم عليه، وأعمله؟

الجواب: روى ابن ماجه وأحمد عن أبي فاطمة - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل أستقيم عليه وأعمله؟

قال: «عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة».

وأعمله: أجعله منهجًا: أتبعه وأمشي على ضوئه.

الفائدة: يحث رسول الله ﷺ أصحابه على كثرة السجود لما له من فضيلة كبيرة، وثواب عظيم.

(٦) فضل الجهاد في سبيل الله

السؤال: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟

الجواب: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟

قال: «لا تستطيعونه».

الألوكة
www.alukah.net

فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه».

ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

القائم: المتهجد المصلي ليلاً، الذاكر الله في السحر.

القانت: كالطاعة والخشوع، والصلاة والدعاء والعبادة والقيام وطول القيام.

الفائدة: يبين رسول الله ﷺ أن العمل الذي يعدل الجهاد في سبيل الله، هو الصيام والقيام والقنوت بآيات الله لا يفتر الصائم القائم القانت من صلاة ولا صيام ولا خشوع ولا دعاء ولا قنوت، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله من أرض المعركة.

(٧) جنة عرضها السموات والأرض

السؤال: يا رسول الله: جنة عرضها السموات والأرض؟

الجواب: روى مسلم عن أنس – رضي الله عنه – قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».

قال عمير بن الحمام: يا رسول الله: جنة عرضها السموات والأرض؟

قال: «نعم».

قال: بخ بخ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟».

فقال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

قال: «فإنك من أهلها».

فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى ما معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قتل - رضي الله عنه -.

(٨) أفضل الشهداء

السؤال: أي الشهداء أفضل؟

الجواب: روى أحمد وأبو يعلى عن نعيم بن عمار - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الشهداء أفضل؟

قال: «الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك ينطلقون في الغرف العلا من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه».

يضحك إليهم ربهم: كناية عن الرضا والإحسان إليهم.

الفائدة: أفضل الشهداء من لا يلتفت وراءه، ولا ينكص على عقبيه، ولا يتخاذل أو يجبن حتى يقتل في سبيل الله، فإن الله - عز وجل - يضحك له ويكرمه ويثيبه، ويغدق نعيمه عليه.

الألوكة
www.alukah.net

(٩) ما الكبائر؟

السؤال: يا رسول الله: ما الكبائر؟

الجواب: روى البخاري والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟

قال: «الإشراك بالله».

قال: ثم ماذا؟

قال: «اليمين الغموس».

قال: وما اليمين المغموس.

قال: «الذي يقتطع مال امرئ مسلم - يعني بيمين هو فيها كاذب - ».

الفائدة: من الكبائر الإشراك بالله، واليمين الكاذبة التي يحلفها الإنسان متعمدًا يقتطع بها مال امرئ مسلم عالمًا أن الأمر بخلاف ما يحلف.

والغَموس: بفتح الغين المعجمة؛ لأنها تغمس الحالف في الإثم في الدنيا، وفي النار في الآخرة.

(١٠) من خير الناس؟

السؤال: يا رسول الله: من خير الناس؟

الجواب: روى البيهقي وغيره عن درة بنت أبي لهب - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله من خير الناس؟

قال: «أتقاهم للرب عز و جل، وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر».

الفائدة: ذكر النبي ﷺ أن أخوف الناس وأكثرهم عبادة وطاعة، وأكثرهم مودة للرحم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، هم من خير الناس عند الله - عز وجل -.

(١١) في طعام الجماعة

السؤال: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع؟

الجواب: روى أبو داود: قال جماعة: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع؟

قال: «فلعلكم تفترقون».

قالوا: نعم.

قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه».

الفائدة: حتى يبارك الله - عز وجل - في الطعام يطلب الاجتماع عليه، وذكر اسم الله عليه، فالبركة مع الجماعة.

(١٢) علمنا شيئًا ينفعنا الله به

السؤال: يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية، فعلمنا شيئًا ينفعنا الله به؟

الجواب: روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي جري الهجيمي - رضي الله عنه - قال: أتيت النبي ﷺ: فقلت: يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية، فعلمنا شيئًا ينفعنا الله به.

الألوكة
www.alukah.net

فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة ولا يحبها الله. وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه، فإن أجره لك ووباله على من قاله».

إسباله: إمداده وطوله.

المخيلة: الكبر والبطر.

وباله: ضرره وعقابه.

الفائدة: من الأعمال النافعة للمسلم أن لا يحقر شيئًا من المعروف ولو قدم ماء لطالب السقيا، وأن يكلم المسلم أخاه بوجه طلق، وأن لا يسبل الإزار ويطيله فإنه من الكبر والبطر، وأن لا تشتم أحدًا بما تعلم فيه إذا هو شتمك بما يعلم فيك، تكن بذلك نلت الأجر، وعقابه على من قاله.

(١٣) إفشاء السلام

السؤال: أي الإسلام خير؟

الجواب: روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟

قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف».

الفائدة: من الأعمال المحببة في الإسلام الإكثار من قرى الضيوف، وتقديم الطعام للناس ابتغاء ثواب الله تعالى، وكذا عمل الخير، وإفشاء السلام الذي يدل على خفض الجناح للمسلمين والتواضع والحث على

تآلف قلوبهم واجتماع كلمتهم وتواددهم ومحبتهم وتعميمه على جميع الناس، وبذلك ينتشر الأمان في الأرض.

(١٤) يوجب لي الجنة

السؤال: يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة؟

الجواب: روى الطبراني وابن حبان والحاكم عن أبي شريح - رضي الله عنه - أنه قال: يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة؟

قال: «طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام».

الفائدة: من الأشياء التي توجب الجنة حسن الكلام وخيره، وبذل السلام على من تعرف ومن لا تعرف، وإطعام الطعام للمحتاجين.

(١٥) حق المسلم على المسلم

السؤال: وما هن يا رسول الله؟

الجواب: روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست، قيل: وما هن يا رسول الله؟».

قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه.....».

الفائدة: يقول رسول الله ﷺ من حق المسلم على المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، وأن يجيبه إذا رعاه، وإن ينصح له إذا استنصحه، وأن يشمته إذا عطس فحمد الله، وأن يزوره في مرضه، وأن يمشي في جنازته إذا مات حتى يتم دفنه.

الألوكة
www.alukah.net

(١٦) من يسرق من صلاته

السؤال: يا رسول الله، وكيف يسرق صلاته؟

الجواب: روى الطبراني عن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: أسرق الناس الذي يسرق صلاته، قيل: يا رسول الله، وكيف يسرق صلاته؟

قال: «لا يتم ركوعها، ولا سجودها، وأبخل الناس من بخل بالسلام».

الفائدة: إن من لا يتم ركوع صلاته ولا سجوده، ولا يطمئن تمام الاطمئنان فكأنما سرق من صلاته، وهو يحاسب عليها.

كما أن أبخل الناس من بخل في رد السلام على المسلمين.

(١٧) ما النجاة؟

السؤال: يا رسول الله: ما النجاة؟

الجواب: روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله: ما النجاة.

قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك».

الفائدة: بين رسول الله ﷺ أن نجاة الإنسان من كثير من الذنوب بحفظ لسانه من فحش القول، ولزوم داره معتكفًا ممتنعًا عن الفتن وشرور الناس، والندم على تقصيره في طاعة الله والتوبة إلى الله جل وعلا، والإكثار من الصالحات.

(١٨) يُكتب علينا

السؤال: يا رسول الله أكل ما نتكلم به يُكتب علينا؟

الجواب: روى الطبراني قال: قلت: يا رسول الله أكل ما نتكلم به يكتب علينا؟

قال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ إنك لن تزال سالمًا ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك».

الفائدة: إن كل ما ينطق به الإنسان يحسب عليه، فإما أن يثاب أو يعاقب، وإن أكثر ما يلقى الناس على وجوههم في النار هو حصائد ألسنتهم من البهت، والكذب، وحلف الأيمان الكاذبة، وشهادة الزور، والنميمة، والغيبة، والفحش، ورمي المحصنات، وغير ذلك.

فإذا سلم اللسان .. سلم الجسم من كثير من الذنوب.

(١٩) من أخلص قلبه للإيمان

السؤال: يا رسول الله: أي الناس أفضل؟

الجواب: روى ابن ماجه والبيهقي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟

قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟

قال: «هو التقي لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل، ولا حسد».

الألوكة
www.alukah.net

الفائدة: إن من الصفات التي يتجمل بها أفضل الناس صدق اللسان، والتقوى المبنية على صفاء القلب الذي يتجنب كل إثم أو بغي، أو حقد، أو حسد.

(٢٠) إماطة الأذى عن الطريق

السؤال: يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به؟

الجواب: روى مسلم وابن ماجه عن أبي برزة – رضي الله عنه – قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به؟

قال: «اعزل الأذى عن طريق الناس».

الفائدة: من الأعمال التي ينتفع بها صاحبها، وله أجر عظيم عليها، إماطة الأذى عن الطريق، وإبعاد الأضرار، وكل ما يعطل سير المارين.

(٢١) أحب الأعمال إلى الله

السؤال: سئل أي الأعمال أحب إلى الله؟

الجواب: روى البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: إن رسول الله ﷺ سئل أي الأعمال أحب إلى الله؟

قال: «أدومه وإن قل».

الفائدة: أحب الأعمال إلى الله، الأعمال الصالحة التي يداوم عليها المسلم، وتستمر المواظبة عليها وإن قلت، وخير الأمور الوسط، وشر الأمور الشطط، ففيه الترغيب في إتقان العمل بتؤدة وتأن مع قلته.

الفصل الحادي عشر

أمثلة تطبيقية من حياة النبي ﷺ

الفصل الحادي عشر
أمثلة تطبيقية من حياة النبي ﷺ [1]

النشاط

النشاط لغة:

مصدر قولهم «نشط ينشط» وهو مأخوذ من مادة (ن ش ط) التي تدل على اهتزاز وحركة، وسميت الحالة التي ينشط فيها الإنسان ويخف للعمل ويسرع إليه نشاطًا، لما يصاحبها من الحركة، والاهتزاز، والتفتح.

النشاط اصطلاحًا:

قال ابن الأثير: المنشط: مَفعَلُ من النشاط وهو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله، وهو مصدر بمعنى النشاط، ومن ثم يكون النشاط هو أن يخف الإنسان إلى الأمر ويؤثر فعله.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في النشاط

قالت عائشة - رضي الله عنها - للأسود بن يزيد سألها عن قيام النبي ﷺ: «كان ينام أول الليل ويحيي آخره، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته، ثم ينام، فإذا كان عند النداء وثب (ولا والله ما قالت: قام) فأفاض عليه الماء (ولا والله ما قالت: اغتسل) وإن لم يكن جنبًا توضأ وضوء الرجل لصلاة، ثم صلى ركعتين» [2].

---

(١) من موسوعة: نضرة النعيم في سيرة وأخلاق الرسول الكريم ﷺ. (بتصرف).

(٢) البخاري الفتح ٣ (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩) واللفظ له.

الألوكة
www.alukah.net

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة[١]، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار، قال: فجاءوا متقلدي سيوفهم، قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار[٢] حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر بناء المسجد، فأرسل إلى ملأ بني النجار، فجاءوا، فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا[٣]، فقالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد، قال: وجعلوا عضادتيه[٤] حجارة، قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخر، وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة

فانصر الأنصار والمهاجرة [٥]

---

(١) علو المدينة: كل ما في جهة نجد يسمى العالية، وقباء من عوالي المدينة، وما في جهة تهامة يسمى السافلة.

(٢) ملأ بني النجار: أي جماعتهم.

(٣) ثامنوني بحائطكم هذا: أي قرروا معي ثمن بستانكم هذا، أو ساوموني بثمنه.

(٤) عضادتيه: تثنية عضادة - بكسر العين - وهي الخشبة التي على كنف الباب، ولكل باب عضادتان.

(٥) البخاري- الفتح٧(٣٩٣٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٤).

من فوائد النشاط:

١- دليل اليقين والإيمان.

٢- علامة من علامات إرهاق الشيطان بذكر الله تعالى.

٣- كثرة تحصيل الثواب.

٤- الاجتهاد في الطاعات، وبلوغ أعلى المقامات.

٥- يرفع قدر الضعيف.

٦- النشاط في العبادة دليل رضا الله وعلامة القرب منه.

٧- النشاط في عمل الخير يكسب المرء حب الله، ورضا الناس، ويرفع ذكره في العالمين.

٨- به تعمر الدنيا، وتفتح البلدان لنشر دين الله.

٩- به يزاد عن الأوطان، وتحمى الأعراض وتنشر الفضيلة، وتدحر الرذيلة.

الألوكة
www.alukah.net

النصيحة

النصيحة لغة:

هي الاسم من النصح، وكلاهما مأخوذ من مادة (ن ص ح) التي تدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما.

اصطلاحًا:

كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً، وتشمل النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم[١].

وقال الجرجاني: هي الدعاة إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد[٢].

لمن تكون النصيحة؟ وكيف؟

النصيحة تكون لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وقد أوضح العلماء معنى هذه النصيحة فيما يحكيه ابن حجر - رحمه الله - قال: النصيحة لله وصفُه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في رد العاصين إليه.

والنصيحة لكتاب الله، تعلمه، وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٧٦).

(٢) التعريفات (٣٦٠)، وإلى مثل هذا ذهب المناوي في التوقيف (٣٢٥).

والنصيحة لرسوله، تعظيمه، ونصره حيًا وميتًا، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبته ومحبة أتباعه.

والنصيحة لأئمة المسلمين، إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم، دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن.

ومن جملة أئمة المسلمين، أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم، ونشر مناقبهم، وتحسين الظن بهم.

والنصيحة لعامة المسلمين، الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه[1].

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «النصيحة لله ورسوله تكون بصدق الإيمان، وإخلاص النية في الجهاد، والعزم عليه عند القدرة، وفعل المستطاع من الحث والترغيب والتشجيع للمسلمين عليه»[2].

المثال التطبيقي في حياة النبي ﷺ في النصيحة:

عن جابر - رضي الله عنه - قال: أعتق رجل من بني عذرة عبدًا له عن دبر[3] فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فقال: «ألك مال غيره؟» فقال: لا. فقال: «من يشتريه مني؟» فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم.

---

(١) فتح الباري (١/ ١٦٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١٠/ ٢٧٥) (بتصرف).

(٣) عن دبر: أي علق عتقه بموته، فقال: أنت حر يوم أموت.

الألوكة
www.alukah.net

فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه. ثم قال: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها. فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك[١].

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان[٢]، فالنجاء[٣]، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا[٤] فانطلقوا على مهلتهم. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم.

فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[٥]. فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»[٦].

من فوائد النصيحة

(١) النصيحة لب الدين وجوهر الإيمان.

(٢) دليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم.

---

(١) مسلم (٩٩٧).

(٢) أنا النذير العريان: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم. وأكثر ما يفعل هذا طليعة القوم ورقيبهم.

(٣) النجاء: اطلبوا النجاة.

(٤) فأدلجوا: ساروا من أول الليل.

(٥) اجتاحهم: استأصلهم.

(٦) البخاري - الفتح ١١ (٦٤٨٢). ومسلم (٢٢٨٣) واللفظ له.

(٣) تكثير الأصحاب، إذ إنه يؤمن منه الجانب، وتقليل الحساد، إذ إنه لا يحب لغيره الشر والفساد.

(٤) صلاح المجتمع، إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستر فيه الرذيلة.

(٥) إحلال الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق.

(٦) الاشتغال بالنفس لاستكمال الفضائل من تمام النصح.

(٧) بيان خطأ المخطئ في المسألة والمسائل - وإن كرهه - من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرمة.

(٨) من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع.

(٩) في التواصي بالحق وبالصبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرة للمجتمع الإسلامي.

(١٠) في الأخذ بوصية الله - عز وجل - ووصية رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معًا.

(١١) للوصية الصادقة تأثير بالغ في النفس، وهي دافع قوي لتنفيذ الموصى به.

(١٢) الوصية وسيلة من وسائل التقوى والتذكر والتعقل.

الألوكة
www.alukah.net

الفصل الثاني عشر

من وصايا الرسول ﷺ

الفصل الثاني عشر
من وصايا الرسول ﷺ (١)

الوصية الأولى: فضل «لا إله إلا الله»

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من نفسه».

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي:

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة، على ما كان من عمل».

وفي رواية لمسلم والترمذي: «سمعت رسول الله يقول: من شهد أن لا إله إلا الله، وان محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار».

الوصية الثانية: وصية عامة في التوحيد

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ، قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة

---

(١) من كتاب: «٥٥» وصية من وصايا الرسول ﷺ - دار القاسم - ط الأولى ١٤٢٣هـ. (بتصرف).

الألوكة
www.alukah.net

لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

الوصية الثالثة: فضل طلب العلم

عن قبيصة بن المخارق – رضي الله عنه – ، قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقال: يا قَبيصةُ ما جاء بك؟ قلت: كبُرت سنّي، ورقّ عظمي فأتيتُك لتعلّمني ما ينفعُني الله تعالى به، فقال: «يا قبيصة، ما مررتَ بحجرٍ ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لكَ، يا قبيصةُ إذا صليت الفجر فقل :سُبحان الله العظيم وبحمده، تُعافى من العمى، والجُذام، والفلج، يا قبيصةُ قل: اللهمّ إنّي أسألك مما عندك فأفضْ عليّ من فضلك، وانشر عليّ رحمتك، وأنزِل عليّ من بركاتك»[2]

هذه الوصية الشريفة تدلُّ على شرف العلم، وجاء في حديث أبي الدرداء– رضي الله عنه – قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد.

أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثةُ الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُورّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنّما ورّثوا العلم، فمن أخذهُ أخذَ بحظّ وافر»[1].

الوصية الرابعة: في فضل العلم أيضًا

عن صفوان بن عسال المرادي - رضي الله عنه - قال: أتيتُ النبيﷺ

وهو في المسجد متكئٌ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله إنّي جئت أطلبُ العلم، فقال: «مرحبًا بطالبِ العلم، إنّ طالبَ العلم لتحفُّه الملائكةُ وتُظلُّـه بأجنحتها، ثم يركبُ بعضُهم بعضًا حتى يبلغوا السماءَ الدُّنيا من محبتهم لما يطلب»[2].

الوصية الخامسة: فضل السجود لله تعالى

عن معدان بن أبي طلحة - رضي الله عنه - ، قال: لقيتُ ثوبان مولى رسول اللهﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يُدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك النبيﷺ، فقال: « عليك بكثرة السُّجـود، فإنك لا تسجُد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة»[3].

---

(١) عن أبي الدرداء والترمذي وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له.

(٣) رواه مسلم والترمذي عن ثوبان وأبي الدرداء.

الألوكة
www.alukah.net

وإتمامًا للفائدة، نروي هذا الحديث:

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما من عبد سجد لله سجدةً إلا كتب الله له بها حسنةً، ومحا عنه بها سيئةً، ورفع له بها درجةً، فاستكثروا من السُّجود»[١].

الوصية السادسة: فضل الصدقة

عن كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا كعب بن عجرة: إنه لا يدخل الجنة لحم ولا دم نبتا من سُحت، النار أولى به. يا كعب بن عجرة: الناس غاديان، فغادٍ في فكاك نفسه فمعتقها، وغادٍ فموبقها. يا كعب بن عجرة: الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا»[٢].

وعن معاذ بن جبل قال: «كنت مع النبي ﷺ في سفر.. فذكر الحديث إلى أن قال فيه: ثم قال - يعني النبي ﷺ - : «ألا أدلكم على أبواب الخير؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»[٣].

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي الذي رواه الطبراني في الكبير والبيهقي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، إنما يستظل المؤمن يوم القيامة ظل صدقته»[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

(٤) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي عن عقبة.

الوصية السابعة:
فضل ركعتي الضحى، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «أوصاني محمد ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أنا أنام»(١).

وفي رواية أخرى عنه - رضي الله عنه - قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لستُ بتاركهن: أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى، فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر».

وإتمامًا للفائدة، نروي الأحاديث الثلاثة الآتية:

الأول: عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله».

الثاني: عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة: فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»(٢).

الثالث: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الصيام، فقال: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، صيام الدهر»(٣).

وعنه أيضًا: عن النبي ﷺ قال: «عليك بالبيض، ثلاثة أيام من كل

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، ورواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم والنسائي.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

الألوكة
www.alukah.net

شهر: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة»[١].

الوصية الثامنة: من آداب الطعام

عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، وذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[٢].

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. وأنَّا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فاخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر[٣] اسم الله تعالى عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديها» ثم ذكر اسم الله وأكل[٤].

---

(١) رواه الطبراني وأحمد والترمذي والنسائي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) يستحل الطعام ألا يذكر: أي يستحل الطعام بأن لا يذكر اسم الله. ذكر اسم الله تعالى امتنع عليه ذلك الطعام.

(٤) رواه مسلم.

الوصية التاسعة: سؤال الله العفو والعافية

قال النبي ﷺ: «يا عباس يا عم رسول الله، سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة»[١].

عن العباس - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، علمني أشياء أسألها الله - عز وجل -. قال: «سل الله العافية، فمكثت أيامًا ثم سألته ثانيًا، فقال لي: يا عباس يا عم رسول الله: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة».

الوصية العاشرة: فضل الصيام

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قلتُ يا رسول الله: مُرني بعملٍ يدخلني الجنة، قال: «عليك بالصّوم فإنّه لا عدل له» قلت: يا رسول الله مرني بعمل. قال: «عليك بالصوم، فإنه لا مثل له»[٢].

وفي رواية للنسائي قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، مرني بأمرٍ ينفعني الله به؟ قال: «عليك بالصّيام فإنه لا مثلَ له».

ورواه ابنُ حبان في صحيحه في حديثٍ قال: قلتُ: يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به؟ قال: «عليك بالصيام فإنه لا مثلَ له»، قال: فكان أبو أمامة لا يُرى في بيته دخانٌ نهارًا إلا إذا نزل بهم ضيف.

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي:

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن العباس - رضي الله عنهما -.

(٢) رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه.

الألوكة
www.alukah.net

يصوم يومًا في سبيل الله تعالى، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهَهُ عن النار سبعين خريفًا»[1].

الوصية الحادية عشرة: عدم الشرك بالله

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بسبع خصال، فقال: «لا تشركوا بالله شيئًا وإن قُطّعتم أو حُرقتم أو صُلبتم، ولا تتركوا الصلاة متعمّدين فمن تركها متعمّدًا فقد خرج من الملة، ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها، ولا تفرّوا من الموت وإن كنتم فيه، ولا تعصِ والديك وإن أمراك أن تخرج من الدنيا كلّها فاخرج، ولا تضع عصاك عن أهلك وأنصفهم من نفسك»[2].

الوصية الثانية عشرة: في أركان الإسلام

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فأصبحتُ يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله تعالى عليه، تعبُد الله لا تُشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: «ألا أدلّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنّة، والصدقة تطفئُ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني ومحمد بن نصر بإسنادين لا بأس بهما.

ثم قال: «ألا أخبرُك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، ثم قال: «كُفَّ عليك هذا» قلت يا رسول الله، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟.

فقال: «ثكلتك أمّك، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[1].

الوصية الثالثة عشرة: في بر الوالدين

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: «أُمك» قال: ثم من؟ قال: «أُمك»، قال: ثم من؟ قال: « ثم أبوك»[2].

وفي رواية: يا رسول الله! من أحقُّ بحسن الصُّحبة؟. قال: «أُمك، ثم أُمك، ثم أُمك، ثم أبوك، ثم أدناك فأدناك»[3].

الوصية الرابعة عشرة: المحافظة على الصلاة

عن أميمة (مولاة النبي ﷺ) - رضي الله عنها - قالت: كُنتُ أصبُّ على النبي - عليه الصلاة والسلام - وضوءَه فدخل رجلٌ فقال: أوصني، قال: «لا تُشْركْ بالله شيئًا وإن قُطّعت وحُرِّقت بالنار، وأطعْ والديك وإن

---

(١) رواه أحمد والترمذي في صحيحه.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه مسلم.

الألوكة
www.alukah.net

أمراك أن تتخلَّى من أهلك ودنياك، فتخلَّه، ولا تشربَنَّ الخمر فإنها مفتاحُ كلِّ شر، ولا تتركنَّ صلاةً متعمدًا، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله»[١].

الوصية الخامسة عشرة: «ما يقال بعد الصلاة»

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن أم سُليم غدت على رسول الله ﷺ قالت: علّمني كلماتٍ أقولهنَّ في صلاتي، فقال: «كبِّري الله عشرًا، وسبِّحيه عشرًا، واحمديه عشرًا، ثم سلي ما شئتِ، يقول: نعم نعم»[٢].

الوصية السادسة عشرة: ما يقال دبر كل صلاة

عن معاذ - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا مُعاذُ! والله إنّي لأُحِبُّك، أوصيكَ يا معاذُ: لا تَدَعَنْ في دبر كل صلاة تقول: «اللهمّ أعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٣].

الوصية السابعة عشرة: في فضل الذكر

عن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه - أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، إنَّ شرائع الإسلام قد كثُرت عليَّ فأخبرني بشيءٍ أتشبَّث به! قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[٤].

---

(١) الحديث رواه الطبراني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

(٤) رواه الترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه.

الوصية الثامنة عشرة: في فضل الذكر أيضًا

وروي عن معاذ - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ، أنَّ رجلاً سأله فقال: أيُّ المجاهدين أعظمُ أجرًا؟ قال: «أكثرُهم لله تبارك وتعالى ذكرًا» فقال: فأيُّ الصالحين أعظمُ أجرًا؟ قال: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرًا» ثم ذكر الصلاة، والزكاة، والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «أكثرُهم لله تبارك وتعالى ذكرًا» فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكلِّ خيرٍ، فقال رسول الله ﷺ: «أجل»[1].

الوصية التاسعة عشرة:
هجْر المعاصي، والتمسك بطاعة الله تعالى، وذكره

عن أم أنس - رضي الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله أوصني، قال: «اهجُري المعاصي فإنها أفضلُ الهجرة، وحافظي على الفرائض، فإنها أفضلُ الجهاد، وأكثري من ذكر الله، فإنكِ لا تأتين لله بشيءٍ أحبّ إليه من كثرة ذكره»[2].

وإتمامًا للفائدة، نروي هذين الحديثين الواردين في فضل الذكر:

الأول: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله - عز وجل -: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن

---

(١) رواه أحمد والطبراني.

(٢) رواه الطبراني بإسناد جيد.

الألوكة
www.alukah.net

ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، وإن تقربَ إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً»[١].

الثاني: عن معاوية - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: «آلله ما أجلسَكُم إلاّ ذلك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلاّ ذاك، قال: « أما إنِّي لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنه أتاني جبريلُ فأخبرني أنَّ الله - عز وجل - يُباهي بكم الملائكة»[٢].

الوصية العشرون: في فضل ركعتي الفجر

روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رجل: يا رسول الله، دُلَّني على عملٍ ينفعني الله به، قال: «عليك بركعتي الفجر، فإن فيهما فضيلة»[٣].

وفي رواية له أيضًا، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «لا تدعوا الركعتين اللتين قبلَ صلاة الفجر، فإنَّ فيهما الرغائب».

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي :

روت عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر،

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) رواه الثلاثة ومسلم والترمذي.

(٣) رواه الطبراني في الكبير.

خيرٌ من الدنيا وما فيها »[١]

الوصية الحادية والعشرون: في عدم الالتفات في الصلاة

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بُـني إياك والالتفاتَ في الصلاة، فإن الالتفاتَ في الصلاة هَـلَـكَـة»[٢].

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي:

روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبد إذا قام في الصلاة، فإنَّه بين عيني الرَّحمن تبارك وتعالى، فإذا التفت قال له الله تبارك وتعالى: يا ابنَ آدم إلى من تلتفت؟ إلى خير منِّي؟ يا ابن آدم أقبل على صلاتك، فأنا خير لك مما تلتفت إليه»[٣].

الوصية الثانية والعشرون: فضل الإخلاص

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال - حين بُعث إلى اليمن - : يا رسول الله، أوصني قال ﷺ: «أخلصْ دينك يكـفِـكَ العملُ القليل».

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديثين الآتيين:

الأول: روي عن ثوبان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كلُّ فتنة ظلماء»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن، وفي بعض النسخ صحيح.

(٣) رواه البزار.

(٤) رواه البيهقي.

الألوكة
www.alukah.net

الثاني: وجاء من حديث آخر عن أبي أمامة - رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله - عز وجل - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغُـي به وجهُـه».

الوصية الثالثة والعشرون: لمن كانت له حاجة إلى الله تعالى

عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له حاجةٌ إلى الله أو إلى أحد من بني آدم، فليتوضأ فليحسن الوضوء، ثم ليصلِّ ركعتين، ثم ليُـثْـنِ على الله، وليُصَـلِّ على النبي، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانَ الله ربِّ العرش العظيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائمَ مغفرتك، والغنيمةَ من كل بر، والسلامةَ من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلاّ غفرته، ولا همًّا إلاّ فرّجته، ولا حاجةً هي لك رضًا إلاّ قضيتها يا أرحم الراحمين».

وزاد ابن ماجه بعد قول: «يا أرحم الراحمين» «ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يقدر»[1].

الوصية الرابعة والعشرون: صلاة الاستخارة

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمُـنا الاستخارة في الأمور كلِّها كما يُعلِّمنا السورة من القرآن يقول: «إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركَعْ ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقُل: اللهمَّ إنِّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم: فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب. اللهمَّ إن كنتَ تعلم

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

أنَّ هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجلِ أمري وآجله - فاقدرهُ لي ويسِّره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنتَ تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفْه عنِّي واصرفني عنه، واقدُر لي الخيرَ حيثُ كان ثم رضني به. قال: ويسمِّي حاجته»[1].

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الوارد:

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مِـن سعادةِ ابن آدم استخارتُـه الله - عز وجل -»[2].

وزاد: «ومن شِـقوة ابن آدم تركُه استخارةَ الله» وقال: صحيح الإسناد.

الوصية الخامسة والعشرون: في السؤال بالله - عز وجل -

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[3].

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي في النهي عن السؤال بوجه الله:

روي عن أبي عبيدة مولى رفاعة عن رافع - رضي الله عنه - أن رسول

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

الألوكة
www.alukah.net

الله ﷺ قال: «ملعونٌ من سأل بوجه الله، وملعونٌ من سئل بوجه الله، ثم يمنع سائله ما لم يسأل هجرًا»(١).

الوصية السادسة والعشرون: في فضل أم الكتاب

عن أبي سعيد رافع بن المعلى - رضي الله عنه - قال: كنت أصلي بالمسجد فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أُجبه ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله، كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: «ألا أُعلمنَّك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟» فأخذ بيدي، فلما أردنا الخروج، قلت: يا رسول الله، إنك قلت لأعلمنَّك أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآنُ العظيم الذي أوتيتهُ»(٢).

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي الوارد في أم الكتاب:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قَسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل». وفي رواية: «نصفها لي، ونصفها لعبدي» فإذا قال العبد: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال: مجَّدني عبدي، فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال: «هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل»،

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة]، قال: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»(١).

الوصية السابعة والعشرون:
في فضل بعض سور القرآن وآياته

عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ، قال لرجل من أصحابه:«هل تزوَّجتَ يا فلان؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوَّج به، قال: أليس معكَ «قل هو الله أحد؟» قال: بلى، قال: «ثلثُ القرآن» قال: أليس معك: «إذا جاء نصر الله والفتح؟» قال: بلى: قال: «ربعُ القرآن» قال: أليس معك: «قل يا أيها الكافرون؟» قال: بلى، قال:«ربعُ القرآن» قال: أليس معك: «إذا زُلزلت الأرض؟» قال: بلى، قال: «ربعُ القرآن» تزوَّج تزوَّج»(٢).

وإتمامًا للفائدة، نروي الأحاديث الواردة في فضل سورة الإخلاص، وخواتيم سورة البقرة، وآية الكرسي:

روي عن معاذ بن أنس الجهني - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال:«من قرأ «قل هو الله أحد» عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة« فقال عمر بن الخطاب: إذًا نستكثر يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب»(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سريَّةٍ،

---

(١) رواه الخمسة إلا البخاري.

(٢) رواه الترمذي عن سلمة بن وردان عن أنس، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) رواه أحمد.

الألوكة
www.alukah.net

وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ «قل هو الله أحد»، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه بأن الله يحبه»(١).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلَّموهُـنَّ وعلِّـموهنَّ نساءكم وأبناءكم فإنَّـهما صلاةٌ وقرآنٌ ودعاء»(٢).

وعن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: أصابنا طَـشٌّ وظلمة فانتظرنا رسول الله ﷺ ليصلِّي بنا فخرج فقال: «قل»، قلت: ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا يكفيك كل شيء»(٣).

الوصية التاسعة والعشرون: في فضل المعوذتين

عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أُنزِلت الليلةَ لم يُرَ مثلُهنَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(٤).

وعنه - رضي الله عنه - قال: «كنت أقودُ برسول الله ﷺ في السفر، فقال: «يا عقبةُ ألا أعلمُـك خيرَ سورتين قُرئتا»، فعلَّمني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فذكر الحديث.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) رواه مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وهذا لفظه.

وفي رواية لأُبيٍّ: «بينما أنا أسيرُ مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء، إذا غشينا ريح ظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ويقول: «يا عقبةُ تعوَّذ بهما، فما تعوَّذ متعوِّذ بمثلهما» قال: وسمعته يَؤُمُّنا بهما في الصلاة.

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي :

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر» فقلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ولن تقرأ بمثلهما، فقرأتهما فقال: «اقرأ بهما»[(١)].

الوصية الثلاثون: في إحياء سنة رسول الله ﷺ

عن عمرو بن عوف – رضي الله عنه – أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: لبلال بن الحارث يومًا: «اعلم يا بلال»، فقال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «اعلم أنَّه من أحيا سُنَّةً من سُنتي قد أُميتت بعدي، كان له من الأجر مثلُ من عمل بها من غيرِ أن ينقصَ من أجورهم شيءٌ، ومن ابتدعَ بدعةَ ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثلُ آثامِ من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيءٌ»[(٢)].

وإتمامًا للفائدة، نروي الحديث الآتي:

عن ابن عباس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيدٍ»[(٣)].

---

(١) رواه النسائي وابن حبان.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) رواه البيهقي والطبراني من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – بإسناد لا بأس به إلاّ أنه قال: «فله أجر شهيدٍ».

الألوكة
www.alukah.net

الفصل الثالث عشر

النبي ﷺ وحقوق المرأة

الفصل الثالث عشر:
النبي ﷺ وحقوق المرأة [1]

أحاط الإسلام المرأة بسياج من الرعاية والعناية، وارتفع بها وقدرها، وخصها بالتكريم وحسن المعاملة ابنةً وزوجةً وأختًا وأمًا، فقرر الإسلام أولاً أن المرأة والرجل خلقا من أصل واحد؛ ولهذا فالنساء والرجال في الإنسانية سواء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

وانطلاقًا من هذه المبادئ، وإنكارًا لعادات الجاهلية والأمم السابقة فيما يخص وضع المرأة، قام الرسول ﷺ يدافع عن المرأة وينزلها المكانة التي لم تبلغها في حضارة ماضية، ولم تدركها في أمة تالية؛ حيث سن لها - كأم وأخت وزوجة وابنة - منذ أربعة عشر قرنًا من الحقوق التي ما تزال المرأة الغربية تصارع الآن للحصول عليها، ولكن هيهات!

ثبت عنه ﷺ أنه كان دائم الوصية بالنساء، وكان يقول لأصحابه: «... استوصوا بالنساء خيرًا»[2]. وتكررت منه هذه النصيحة في حجة الوداع وهو يخاطب الآلاف من أمته.

وإذا ما أردنا أن نتبين ما أرساه الرسول ﷺ من دعائم رفعتها وتكريمها،

---

(١) من كتاب: أسوة للعالمين - د/ راغب السرجاني - أقلام للنشر والتوزيع والترجمة - ط الأولى ١٤٣٢هـ. (بتصرف).

(٢) البخاري عن ابي هريرة: كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء (٣٣٣١)، مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٨)، والترمذي (١١٨٨)، ومسند أحمد (١٠٤٧٥)، والدارمي (٢٢٢٢).

الألوكة
www.alukah.net

فيهمنا أن ندرك أولاً وضع المرأة في الجاهليات القديمة والمعاصرة؛ لنرى الظلام الحقيقي الذي عانته، والذي ما زالت تعانيه، ومن ثم يتبين لنا حقيقة وضع ومكانة المرأة في ظل تعاليم رسول الله ﷺ.

لما كانت عادة العرب في الجاهلية وأد البنات؛ أتى النبي ﷺ يجرم ويحرم ذلك الفعل، وذلك انطلاقًا من تشنيع القرآن الكريم على أهل الجاهلية بسبب وأدهم البنات ومهانتها عندهم؛ حيث قال الله -عز وجل -: ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [التكوير: ٨ - ٩]، بل وجعله النبي ﷺ من أعظم الذنوب؛ فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله ندًا وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[(١)].

ولم يقف رسول الله ﷺ في الحفاظ على حقها في الحياة عند هذا الحد، وإنما رغب في الإحسان إليها صغيرة؛ فقال: «من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن؛ كن له سترًا من النار»[(٢)].

ثم أمر الرسول ﷺ بتعليمها فقال: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها... فله أجران»[(٣)]. وكان ﷺ يجعل

---

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه (٦٠٠١)، والترمذي (٣١٨٢)، وأحمد (٤١٣١).

(٢) البخاري عن عائشة: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان على البنات (٢٦٢٩).

(٣) البخاري: عن أبي موسى الأشعري: كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها (٤٧٩٥).

للنساء يومًا ليعظهن، ويذكرهن، ويأمرهن بطاعة الله تعالى.

وما أن تشب البنت وتصير فتاة بالغة؛ حتى يعطيها الرسول ﷺ الحق في الموافقة على الخاطب أو رفضه، ولا يجوز إجبارها على الاقتران برجل لا تريده، وقد قال في ذلك ﷺ: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها»(١). وقال - أيضًا - ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت»(٢).

ولما تصير زوجة يحث الرسول ﷺ على حسن معاملتها وعشرتها؛ مبينًا أن حسن عشرة النساء دليل على نبل نفس الرجل وكريم طباعه، فيقول- مرغبًا-: «إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر»(٣).

ويقول مرهبًا: «اللهم، إني أحرج(٤) حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»(٥).

---

(١) مسلم عن عبد الله بن عباس: كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت (١٤٢١).

(٢) البخاري عن أبي هريرة: كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها (٥١٣٦).

(٣) أحمد عن العرباض بن سارية (١٧١٩٥) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح بشواهده...، والطبراني: المعجم الكبير (١٥٣٥٦)، وقال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٩٦٣).

(٤) أحرج: أي ألحق الحرج والأثم بمن ضيعها، فاحذره من ذلك تحذيرًا بليغًا، وازجره زجرًا أكيدًا، انظر: المناوي: فيض القدير (٣/ ٢٧).

(٥) ابن ماجه عن أبي هريرة (٣٦٧٨)، وأحمد (٩٦٦٤) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، والحاكم (٢١١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي (٢٠٢٣٩)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (١٠١٥).

الألوكة
www.alukah.net

وإذا ما كرهت الزوجة زوجها ولم تطق الحياة معه، فقد سن لها الرسول ﷺ حق مفارقه الزوج، وذلك عن طريق الخلع، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا أني أخاف الكفر. فقال رسول الله ﷺ: «فتردين عليه حديقته؟» فقالت: نعم. فردت عليه حديقته، وأمره ففارقها.

في حين أنه ﷺ أثبت للمرأة ذمة مالية مستقلة تمامًا كالرجل؛ فلها أن تبيع وتشتري، وتستأجر وتؤجر، وتوكِل وتهب، ولا حجر عليها في ذلك ما دامت عاقلة رشيدة، وذلك انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

وهكذا تعيش المرأة المسلمة عزيزة أبية كريمة في ظل تعاليم رسول الله ﷺ.

الخاتمة

أختي المسلمة!!

هل تعلمي أنه: ما من مسلمة تصلي وتسلم على النبي ﷺ إلا ويرد الله على النبي ﷺ روحه، حتى يرد السلام على من سلمت عليه، في أي مكان كانت، وعلى أية حال كانت؟!

وهذا ما أخبرنا به النبي ﷺ حينما قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام» (١).

فأنتِ حينما تقولين: «صلى الله عليه وسلم»، يأتي ملك، فيذهب إلى النبي ﷺ ويخبره بأنكِ تسلمين عليه.

نعم.. هكذا يجب أن تكون علاقة المسلمة بنبيها ﷺ علاقة قوية ومتينة.

فالنبي ﷺ يقول: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام» (٢).

فأكثرن من الصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبة أجمعين.

واحرصن على تطبيق سنته، والعمل بما جاء بها، ونشر ذلك فالدال على الخير كفاعله.

«وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين».

---

(١) سنن النسائي، كتاب السهو، حديث رقم (١٢٦٥).

(٢) سنن أبي داود، كتاب المناسك، حديث رقم (١٧٤٥).

الألوكة
www.alukah.net

أفكار

مقترحات

ملاحظات

للاقتراحات والملاحظات

الرجاء التواصل مع المؤلف عبر العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية - منطقة تبوك

+٩٦٦ ٥٠٣٢٤٥٥١٩

abdulaziz9955@hotmail.com

ص.ب 104 تيماء 71941

facebook.com/abdulaziz9955

twitter.com/abdulaziz9955

Abdulaziz995566

والحمد لله رب العالمين

الموسوعة الثقافية المدرسية
لطالبات المرحلة الابتدائية

التعريف: هي موسوعة ثقافية موجهة للفتيات من عمر (٦) سنوات إلى (١٢) سنة.

الفكرة: تقديم موسوعة ثقافية شاملة لتلك الفئة العمرية تزودهن بشتى حقول المعرفة.

الأهداف:

- إعداد جيل من الفتيات يحمل قدرًا كبيرًا من العلم والثقافة تمكنه من تطوير نفسه وتطوير مجتمعه من حوله.
- تقوية صلة الطالبة بربها من خلال سرد القصص والعبر.
- تعريف الطالبة بسنة نبيها صلى الله عليه وسلم بأسلوب سلس، وطرح مرن.
- تقديم نماذج من سير الصحابة والتابعين لتتعرف عليها الطالبات.
- عرض لقصص تاريخية، تتعرف الطالبات من خلالها على أسرار العظمة الحقيقية.
- تطوير الذات من خلال طرح عددٍ من المهارات التي تستطيع الطالبات التدرب عليها.
- شغل وقت الطالبة بحزمة من الأنشطة المتنوعة والتي تعطي الطالبة الكثير من المعلومات والمهارات مع المتعة والسرور.
- تم رصد مئات من الكلمات التي جمعت سحر البيان، وبراعة الإتقان، لتؤثر في نفوس الطالبات؛ فتحسن سلوكهم، وتقوم أخطائهن، وترشدهن إلى ما فيه خير، وتنهاهن عما فيه شر.
- المسرحيات والمشاهد تُعد من الأنشطة البارزة والمهمة بل والمؤثرة في هذا العصر .. ولذا؛ قدمنا لطالباتنا نماذج جاهزة، جمعت التجديد، والفائدة، والمتعة.
- عرفنا الطالبة والمعلمة بجماعات النشاط المتنوعة، وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل.
- بذلنا الجهد الكبير لتقديم العديد من البرامج الجاهزة لكل المناسبات السنوية من أسابيع توعوية، وغيرها.
- هذه الموسوعة هي صديقة متميزة، تبحث عن طالبة ناجحة، ومعلمة مخلصة، ومديرة نشيطة، ليكونا معًا صداقة حميمة، وعلاقة طيبة، على حقول من العلم والمعرفة والثقافة والنشاط.

محتويات الموسوعة:

١. الأفكار الذهبية في الإذاعة المدرسية.
٢. المتفوق في البرامج الأسبوعية.
٣. الدانة الخالصة في البرامج المتخصصة.
٤. الواحة البارزة في البرامج المتميزة.
٥. حديقة الفقرات الثقافية (١).
٦. حديقة الفقرات الثقافية (٢).
٧. الكلمات المناسبة لكل مناسبة.
٨. أحبك يا رسول الله.
٩. الهادي الأمين في حكايات الصحابة والتابعين.
١٠. زهرة النشاط المدرسي.
١١. مسرحيات لطيفة ومشاهد خفيفة.
١٢. مراجع الموسوعات الثقافية المدرسية.

نحيط علمًا: بأن هذه الموسوعة ليست حكرًا على المدرسة؛ بل هي للبيت، والمسجد، والمكتبة، والمراكز الصيفية، وسائر الملتقيات الثقافية.

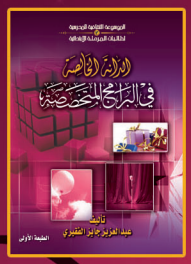

الألوكة
www.alukah.net